من جمال النظم القرآنى

فى آيات النسيان والذكر

دراسة تحليلية بلاغية

دكتور

سعد الدين كامل عبد العزيز

المدرس فى قسم البلاغة والنقد بالكلية

إهداء

الى روح أبى الكريم

رجاء أن يتغمده الله - تعالى - برحمته

المقـــدمـــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبيـــاء وإمام المرسلين سيدنا محمد النبى المصطفى الكريم وعلى آلـــه وأصحابه والتابعين له بإحسان إلى يوم الديـــن ، فللقـــرآن الكريم أسرار كثيرة لا يحيط بها إلا العليم الخبير ، ولا يعطـى الله تعالى هذه الأسرار إلا لمن لجأ إليه واستجار به .

ومن يتأمل فى القرآن الكريم يجد أن المفردة تقـــع فى غايـــة الأهمية فى دراسة بلاغة القرآن الكريم ، مـــن حيـــث أنهـــا الوحدة المكونة للآيات ، وأنها عنصر فعال فى توصيل المعـــنى إلى المتلقى بصورة بيانية ، ومن حيث أن الكلام الربانى محكم متماسك لا غنى فيه عن مفردة ، بل عن حرف [1] ومن ثم قد وقع اختيارى على مفردتين من مفردات القرآن الكريم مـــن خلال النظم البلاغى لهما ، لنرى فاعلية هاتين المفردتـــين فى

---

[1] جماليات المفردة القرآنية فى كتب الإعجاز والتفسير – إعداد أحمد يوسف – إشراف وتقديم د / نور الدين عتر ص ٣٢٧ طـ دار المنشى – سوريا – لبنان

توصيل المعنى إلى المتلقى فى كل زمان ومكان بصورة واضحة

وهاتان المفردتان هما " النسيان والذكر " .

ولا يمكن دراسة هاتين المفردتين وتذوقهما من خلال دراسة خصائص النظم البلاغى فإنه لا تفاضل بين كلمة وأخرى فى الدلالة على المعنى قبل دخولها فى نظم الكلام ، ولهذا لا نجد أحداً يقول : هذه اللفظة فصيحة إلا وهو يعتبر مكانها من نظم وحسن ملاءمة معناها لمعانى جاراتها ، وفضل مؤانستها لأخواتها .

أو كما يقول الإمام عبدالقادر الجرجانى : لا نظم فى الكلم حتى يعلق بعضها ببعض ، ويبنى بعضها على بعض .

"فإن ذلك يكشف عن جمال اللفظ فى موقعه أثره فى سياقه .

هذا وقد استعنت فى دراسة خصائص النظم " فى آيات النسيان والذكر " بآراء أصحاب التفاسير الذين عنوا بالناحية البلاغية وتحدثوا فى قضية الإعجاز من أمثال جاد الله محمود بن عمر الزمخشرى فى كتابه الكشاف - والآلوسى فى روح المعانى ، وأبى حيان فى البحر المحيط ، والفخر الرازى فى

التفسير الكبير ، والقرطبى فى الجامع لأحكام القرآن ، والشهاب فى حاشيته على البيضاوى وكذا شيخ محى الدين زادة فى حاشيته أيضاً على البيضاوى ، وغيرها من كتب التفاسير التى قامت أساساً على علمى البيان والمعانى يقول الكسائى : الواقف على تمام مراد الحكيم - تعالى وتقدس - من كلامه ، مفتقر إلى هذين العلمين - المعانى والبيان - كل الافتقار ، فالويل كل الويل لمن يتعاطى التفسير وهو فيها راجل " ، ويقول يحى بن حمزة العلوى ت ٧٤٩هـ فى بيان السبب الذى حفزه على تأليف الطراز : أن الباعث على تأليف هذا الكتاب هو أن جماعة من الإخوان شرعوا علىّ فى قراءة كتاب الكشاف تأليف الشيخ العالم المحقق أستاذ المفسرين محمود بن عمر الزمخشرى فإنه أسسه على قواعد هذا العلم فاتضح عند ذلك وجه الإعجاز من التنزيل وعرف من أجله وجه التفرقة بين المستقيم والمعوج من التأويل وتحققوا أنه لا سبيل إلى الاطلاع على حقائق إعجاز القرآن إلا بإدراكه والوقوف على أسراره وأغواره ، ومن

من هذا الوجه كانتميزاً عن سائر التفاسير لأنى لم أعلم تفسيراً مؤسساً على علمى المعانى والبيان سواه ، فسألنى بعضهم أن أملى فيه كتاباً يشتمل على التهذيب والتحقيق وجاء هذا البحث فى مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة فهارس .

المقدمة : تحدثت عن النسيان والذكر عن أهل اللغة ، وعلماء النفس والاجتماع .

الفصل الأول : أسرار النظم البلاغى فى آيات النسيان فى القرآن الكريم .

الفصل الثانى : أسرار النظم البلاغى فى آيات الذكر فى القرآن الكريم .

الخاتمة : وبها أهم النتائج .

فهرس أهم المصادر والمراجع .

فهرس الموضوعات .

دكتور / سعد الدين كامل عبد العزيز شحاته
تفهنا العزب - زفتا - الغربية

تمهيد

أولاً : تعريف النسيان عند علماء اللغة :

جاء فى لسان العرب النسيان،بكسر النون : ضد الذكر والحفظ ، نسيه نسياً ونسياناً ونسوة ونساوة ، ورجل نسيان ، بفتح النون : كثير النسيان للشئ والنسيان : الترك ، وقوله عز وجل " نسوا الله فأنساهم انفسهم " ، قال : إنما أنساهم أن يعملوا لأنفسهم . وقوله عز وجل " وتنسوا ما تشركون " ، وجائز أن يكون المعنى أنكم فى تركككم دعاءهم بمنزلة من قد نسيهم ، وكذلك قوله تعالى : " فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا " ، أى نتركهم من الرحمة فى عذابهم كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا ، وكذلك قوله تعالى : " فلما نسوا ما ذكروا به " ، يجوز أن يكون معناه تركوا ، ويجوز أن يكونوا فى تركهم القبول بمنزلة من نسى . قال الليث : نسى فلان شيئاً كان يذكره وأنه نسى كثير النسيان . والنسى : الشئ المنسى الذى لا يذكر . والنسى : ما نسى وما سقط فى منازل المرتحلين من رزال أمتعتهم . وفى حديث عائشة - رضى الله عنها : وددت أنى كنت نسياً منسيا ، أى شيئاً حقيراً مطرحاً لا يلتفت إليه . وجمعه أنساء . تقول العرب إذا ارتحلوا من المنزل : انظروا أنساءكم ، تريد الأشياء الحقيرة التى ليست عندهم

يبال مثل العصا والقدح والشظاظ ، أى اعتبروا لئلا تنسوها فى المنزل ، وقال الأخفش : النسى ما أغفل من شئ حقير ، ونسى والنسى : الكثير النسيان يكون فعيلاً وفعولاً وفعيل أكثر وفى التنزيل العزيز : " وما كان ربك نسيا " أى لا ينسى شيئاً . قال الزجاج : وجائز أن يكون معناه ، والله أعلم ، ما نسيك ربك يا محمد وإن تأخر عنك الوحى ، ويروى أن النبى صلى الله عليه وسلم - أبطأ عنه جبريل ، عليه السلام ، بالوحى فقال وقد أتاه جبريل : ما زرتنا حتى اشتقنا ، فقال : ما نتنزل إلا بأمر ربك وفى الحديث : لا يقولن أحدكم نسيت آية كيت وكيت . بل هو نسى ، كره نسبة النسيان إلى النفس لمعنيين : أحدهما أن الله عز وجل هو الذى أنساه إياه لأنه المقدر للأشياء كلها ، والثانى أن أصل النسيان الترك ، فكره أن يقول تركت القرآن أو قصدت على نسيانه ، ولأن ذلك لم يكن باختياره [1] .

وفى المفردات للراغب الأصفهانى " نسى : النسيان ترك الإنسان ضبط ما استودع إما لضعف قلبه ، وإما عن غفلة وإما عن قصد حتى ينحذف عن القلب ذكره يقال نسيته نسياناً ، قال " ولقد

---

[1] لسان العرب - ابن منظور - جـ ٦ ص ٤٤١٦ طـ دار المعارف

عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما - فذوقوا بما نسيتم - فإنى نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان - لا تؤاخذنى بما نسيت - فنسوا حظاً مما ذكروا به - ثم إذا خوله نعمة منه نسى ما كان يدعوا إليه من قبل - سنقرئك فلا تنسى " ، إخبار وضمان من الله تعالى أنه يجعله بحيث لا ينسى ما يسمعه من الحق ، وكل نسيان من الإنسان ذمه الله تعالى به فهو ما كان أصله عن تعمد وما عذر فيه نحو ما روى عن النبى - صلى الله عليه وسلم : " رفع عن أمتى الخطأ والنسيان " فهو ما لم يكن سببه منه ، وقوله " فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم " هو ما كان سببه عن تعمد منهم وتركه على طريق الإهانة ، وإذا نسب هذا إلى الله فهو تركه إياهم استهانة بهم ومجازاة لما تركوه ، وقال : " فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا - نسوا الله فنسيهم " وقوله : " ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم " فتنبيه أن الإنسان بمعرفته بنفسه يعرف الله فنسيانه لله هو من نسيانه نفسه . وقوله تعالى : " واذكر ربك إذا نسيت " قال ابن عباس : إذا قلت شيئاً ولم تقل إن شاء الله فقله إذا تذكرته ، وبهذا أجاز الاستثناء بعد مدة ، قال عكرمة : معنى نسيت ارتكبت ذنباً ومعناه ذكر الله ، إذا أردت وقصدت ارتكاب ذنب يكن ذلك دافعاً لك " .

ر أساس البلاغة الإمام الزمخشرى " ومن المجاز : نسيت الشيء : تركته " نسوا الله فنسيهم " وكرمك ينسى كرم البرامكة " [١].

وفى المعجم الوسيط " النسيان : الكثير الغفلة والنسيان . النسيان : عاهة النسيان أو فقد الذاكرة وهى عاهة تنشأ عن : " اضطراب شديد أو عطب فى المخ ، أو عن اضطراب شديد فى الحياة العقلية يسببه القلق أو الصراع النفسانى " [٢].

والنسيان فى القرآن الكريم على وجهين :

أحدهما : الترك مع العمل ، ومنه فى البقرة الآية ١٠٦ ، ٢٣٧ ، وفى طه ١١٥ ، وفى السجدة آية ١٤ الثانى : خلاف الذكر ، ومنه فى الكهف الآية ٦٣ ، ٧٣ ، والأعلى الآية ٦ [٣].

تعريف النسيان عند علماء النفس :

يعرف النسيان بأنه احتفاظ سالب بمعنى أن الإنسان تكون لديه معلومات محفوظة فى الذاكرة لا يستطيع استرجاعها أو تذكرها .

---

[١] أساس البلاغة - الإمام الكبير جار الله أبى القاسم محمود بن عمر الزمخشرى - تحقيق الأستاذ / عبد الرحيم محمود - ص ٤٥٥ - ط دار المعرفة - بيروت - لبنان

[٢] المعجم الوسيط جزء ٢ ص ٩٢٠

[٣] منتخب قرة العيون النواظر فى الوجوه والنظائر فى القرآن الكريم - الإمام ابن الجوزى ت ٥٩٧ هـ تحقيق ودراسة / محمد السيد الشنطاوى و / فؤاد عبد المنعم أحمد ص ٣٢٦ ط مكتبة المنار الإسلامية

ويعود ذلك على قصور فى عملية التعبير عن الخبرة المذكرة وقد يكون النسيان كلياً أو جزئياً [١] ويعرفه Hu NN بأنه عدم قدرة الفرد على الاسترجاع أو التعرف لبعض المعلومات التى اكتسبها أو تعلمها قديماً وحديثاً ، لأن منحنى الحفظ ينحدر نتيجة للوقت والزمن [٢].

علاقة التذكر بالنسيان

ما يعرفه العلماء النفس أننا نكتسب الكليات أولاً حيث يكون تذكرنا بتلك الكليات أسهل من تذكر التفاصيل التى لكتسبها بعد الكليات فهل يعنى هذا أننا ننسى الكليات أولاً أم تتعرض التفاصيل للنسيان قبلها ؟ بينت لهم التجارب أن العلاقة بين التذكر والنسيان علاقة عكسية فالنسبة لتذكر ونسيان الكليات والتفاصيل وجد العلماء أن منحنى الاكتساب عكس منحنى النسيان . نحن نبدأ باكتساب المعنى ومع تكرار التعرض للمثيرات تزيد تحصيلاتنا من التفاصيل تدريجياً ، وبعد ترك عملية الاكتساب لفترة ثم محاولة الاسترجاع نجد أن قدر التفاصيل يتناقص سريعاً ثم

---

[١] علم النفس الفسيولوجى - دكتور / عبد الله عسكر ص ١٢٦ ط مكتبة الأنجلو المصرية

[٢] معجم علم النفس - د / فرقى لخضير ص ١٦١ ط الأولى ١٤٢٨ - ٢٠٠٨

يقل تدريجياً حتى لا يبقى إلا المعنى الكلى . بعبارة ثانية يبدأ التذكر بالكل ثم التفاصيل حيث يبدأ النسيان بالتفاصيل ثم الكل [1].

العوامل المؤدية للنسيان

هناك ثلاث نظريات شائعة فى تفسير ظاهرة النسيان :

أ-نظرية الترك أو الضمور ، ومجمل هذه النظرية أن الشخص إذا ترك موضوعاً اكتسب لفترة ما اكتسبه يضمر فينسى ، وتتمشى هذه النظرية مع منحنى الاحتفاظ والنسيان فالزمن يجعل التفصيل يضمر بالترك .

بينت التجارب السابقة أن اكتساب أمرين يجعل استدعاءهما يعطل بعضه البعض . فعند حفظ مجموعة من الكلمات يتلوها حفظ مجموعة من الأرقام يكون استدعاء الكلمات معاقاً بالأرقام فيعطل كل الآخر .

حـ - نظرية عدم اكتمال المكتسب :

فكلما كان المكتسب مكتملاً وحاصلاً على معنى أن تذكره أيسر وأقوى أما الأشياء الناقصة وغير الحاصلة على معنى فهى أكثر قابلية للنسيان [1].

[1] علم النفس التجريبى د / سلوى شرقى ص ١٦٠

ثانيا : التذكر عند أهل اللغة

قال ابن منظور فى اللسان فى تعريف الذكر الحفظ للشىء تذكره والذكر أيضاً : الشئ يجرى على اللسان والذكر : جرى الشئ على لسانك والذكر والذكرى ، بالكسر نقيض النسيان ، وكذلك الذكرة ، وقال الزمخشرى فى الأساس ذكر - ذكرته ذكراً وذكرى وذكرته تذكره وذكرى (وذكر فإن الذكرى) وذكرت الشئ تذكرته وجعله منى على ذكر أى لا أنساه وعقد رتيمة ليستذكر بها الحاجة واستذكر دراسته طلب بها الحفظ [2]. فمعنى ذكر الله تعالى حفظه وجريان ذكره على القلب واللسان . وعدم نسيانه ومعنى ذكر نعمته تذكرها والتدبر فيها والاعتداد بها حتى يحسن العبد شكرها.

تعريف التذكر عند علماء النفس والاجتماع

التذكر هو نوع خاص من التعليم بهدف الاحتفاظ بالمادة المتعلمة فى الذاكرة .

والذاكرة موجودة فى المخ ككل وهذا ما يؤكد ما أسماه (لاشلى) بقانون " الفاعلية الكمة " وهو يشير إلى أن عجز الذاكرة يتعلق

[2] لسان العرب - ابن منظور حـ ٣ ص ١٥٠٧

ية ما يصاب من المخ أكثر ما يتعلق بمكان الإصابة ، وبذلك
أيضا يرتبط قانون (لاشيلى) الثانى وهو قانون " تساوى
الاستعداد " رغم أن منطقة ما من المخ تكون مسئولة عن وظيفة
بذاتها فإن منطقة أخرى يمكن أن تقوم بنفس دورها .

وكل ذلك يؤكد وجود الذاكرة والتعلم فى المخ التذكر هو العملية
التى تستدعى بها خبراتنا السابقة عن طريق التخيل أو الكلمات أو
غير ذلك [1] .

---

[1] علم النفس ـ د / محمد سعيد أبو الخير ص ٢٠٦

الفصل الأول
أسرار النظم البلاغى فى آيات النسيان

١ـ قال تعالى " ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها
ألم تعلم أن الله على كل شئ قدير ألم تعلم أن الله له ملك السموات
والأرض وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير " [1] .

المعنى العام : ـ

نزلت هذه الآية لما قال المشركون أو اليهود ألا ترون إلى محمد
يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمر بخلافه ، ويقول اليوم قولاً
ويرجع عنه غداً ، وما هذا القرآن إلا كلام محمد ـ عليه الصلاة
والسلام ـ يقوله من تلقاء نفسه ، وهم يريدون الطعن فى الإسلام
وتوهين عزيمة من أراد الدخول فيه ، ويقولون أن محمداً ـ صلى الله
عليه وسلم ـ وصف التوراة بأنها حق وأنه جاء مصدقاً لها فكيف
يكون شرعه مبطلاً للتوراة فرد الله عليهم شبهتهم التى أرادوا
ترويجها على الناس بمنع النسخ ، والمقصد الأصلى من هذا هو
تعليم المسلمين أصلاً من أصول الشرائع وهو أصل النسخ الذى
يطرأ على شريعة بشريعة بعدها ، ويطرأ على بعض أحكام شريعة

---

[1] سورة البقرة الآيتان ١٠٦ ، ١٠٧

بأ[illegible]م تبطلها من تلك الشريعة ، ولكون هذا هو المقصد الأصلى عد[illegible] عن مخاطبة اليهود بالرد عليهم ووجه الخطاب إلى المسلمين كما دل عليه قوله" ألم تعلم" وعطفه عليه بقوله:" أم تريدون أن تسألون رسولكم"[1].

" ما " شرطية وأصلها الموصولة أشربت معنى الشرط فلذلك كانت اسماً للشرط يستحق إعراب المفاعيل وتبين بما يفسر إبهامها ، وهى أيضاً توجب إبهاماً فى أزمان الربط ، لأن الربط وهو التعليق لما نيط بتبهم صار منها فلا تدل على زمن معين من أزمان تعليق الجواب على الشرط وربطه به[2] " ننسخ " النسخ فى أصل اللغة بمعنى إبطال الشئ . وقال القفال : أنه للنقل والتحويل ،لنا أن نقول : نسخت الريح آثار القوم إذا عدمت ونسخت الشمس الظل إذا عدم لأنه قد لا يحصل الظل فى مكان آخر حتى يظن انه انتقل إليه[3] قرأ ابن عامر " ما ننسخ " بضم النون وكسر السين ومنها وجهان : أن يكون نسخ وأنسخ بمعنى واحد[4].

---

[1] حاشية محى الدين زاده على تفسير البيضاوى حـ ١ ص ٣٨١ طـ المكتبة الإسلامية بتركيا ، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوى حـ ٢ ص ٢١٨ ، تفسير روح المعانى – الألوسى حـ ١ ص ٣٥٦

[2] التحرير والتنوير حـ ١ ص ٦٥٥

[3] التفسير الكبير حـ ١ ص ٢٤٥

والثانى : أنسخته جعلته ذا نسخ ، وقرأ الباقون بفتحهما أى النون والسين ، والمراد من النسخ هنا الإزالة والبات العوض بدليل قوله تعالى : " نأت بخير منها أو مثلها " والنسخ جائز عقلاً واقع سمعاً خلافاً لليهود الذين أنكروه عقلاً ومنهم من جوزه عقلاً . ولكنه منع منه سمعاً ، " من آية " بيان للإبهام الواقع فى " ما " الشرطية ، والآية فى الأصل : الدليل والشاهد على أمر ، ووزنها فعلة بتحريك العين عند الخليل وعينها ياء أو واو قلبت ألفاً لتحركها وانفتاحُ ما قبلها والنسبة إليها آيي أو آوى ، ثم أطلقت الآية على المعجزة ، لأنها دليل صدق الرسول - صلى الله عليه وسلم - قال تعالى : " وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً " أما قوله تعالى : " أو ننسها " فقد قرأ ابن كثير وأبو عمرو ننساها بفتح النون والهمزة وهو جزم بالشرط ولا يدع أبو عمرو الهمزة فى مثل هذا ، لأن سكونها علامة للجزم وهو من النسء وهو التأخير ومنه " إنما النسىء زيادة فى الكفر " ومنه سمى بيع الأجل نسيئة قال أهل اللغة : أنسأ الله أجله ونسأ فى أجله ، أى أخر وزاد ، قال - صلى الله عليه وسلم - من سره النسء فى الأجل والزيادة فى الرزق فليصل رحمه " وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى ويعقوب وخلف " ننسها " بنون مضمومة فى أوله وبسين مكسورة

هاء ، وهو من النسيان ثم الأكثر وإن حملوه على النسيان الذى هو ضد الذكر ، ومنهم من حمل النسيان على الترك على حد قوله تعالى : " فنسى ولم نجد له عزماً " أى فترك وقال : " فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا " أى نتركهم كما تركوا ، والأظهر أن حمل النسيان على الترك مجاز لأن المنسى يكون متروكاً ، فلما كان الترك من لوازم النسيان أطلقوا اسم الملزوم على اللازم " [1] وقرئت الآية بالتشديد من النسيان معلومة ومجهولة مع ذكر المفعول وتركه [2] " أما قوله تعالى : " نأت بخير منها أو مثلها " يبين الله بهذه الآية أن من جملة فضله نسخ الآية بخير منها أو مثلها رحمة على هذه الأمة ، ويمكن أن يقال إنه تعالى لما أخبر المسلمين أن أضدادكم لا يحبون أن ينزل عليكم من خير من ربكم بين أن من جملة الخير المنزل ما نزل بالنسخ لتبدل المصالح فكما أن الطبيب المباشر لإصلاح البدن يغير الأغذية والأدوية بحسب اختلاف الأمزجة والأزمنة كذلك الأنبياء المباشرون لإصلاح النفوس يغيرون الأعمال الشرعية والأحكام الخلقية التى هى للنفوس بمنزلة العقاقير والأغذية للأبدان فإن أغذية النفوس

[1] التفسير الكبير – فخر الدين الرازى بتصرف يسير جـ٢ ص ٢٤٦

[2] حاشية الشهاب على تفسير البيضاوى جـ١ ص ٢٢٠

وأدويتها هى الأعمال الشرعية والأخلاق فغيرها الشارع على حسب تغير مصالحها ، فكما أن الشئ يكون دواء للبدن فى وقت ثم قد يكون داء فى وقت أخر ، كذلك الأعمال قد تكون مصلحة فى وقت ومفسدة فى وقت والكفرة لا يعرفون الحكمة فى تغير التكاليف ونسخ الأحكام فينكرونه [1] " أما " ألم تعلم أن الله على كل شئ قدير " فتنبيه للنبى وغيره على قدرته تعالى على تصريف المكلف تحت مشيئته وحكمه وحكمته ، وأنه لا دافع لما أراد ولا مانع لما اختار ، وهى مفيدة لأحد الشيئين مع جواز الجمع .

****

٢– قال تعالى : " وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم إلا أن يعفون أو يعفوا الذى بيده عقدة النكاح وأن تعفوا أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم إن الله بما تعملون بصير " [2].

المعنى العام للآية :

ما ذكر الله تعالى فى الآية السابقة حكم المطلقة غير الممسوسة إذا لم يفرض لها مهر ، تكلم فى المطلقة غير الممسوسة إذا كان قد فرض لها مهر .

[1] حاشية الشيخ عبى الدين زادة على تفسير القاضى البيضاوى جـ١ ص ٣٨٣

[2] البقرة ٢٣٧

قوله تعالى : " وقد فرضتم لهن فريضة " إما حال من فاعل فرضتموهن أو من مفعوله ، وقرئ فنصف بالنصب على معنى فأدوا نصف ولعل تأخير حكم التسمية مع أنها الأصل فى العقد والأكثر فى الوقوع من باب التدرج فى الأحكام وذكر الأشق فالأشق . وقوله : " إلا أن يعفون " استثناء مفرغ من أعم الأحوال أى فلهن نصف المفرض معيناً فى كل حال إلا حال عفوهن أى المطلقات المذكورات فإنه يسقط ذلك حينئذ بعد وجوبه والصيغة فى حد ذاتها التذكير والتأنيث ، والفرق بالاعتبار فإن الواو فى الأولى ضمير والنون علامة الرفع ، وفى الثانية لام الفعل والنون ضمير والفعل مبنى ولذلك لم تؤثر فيه "أن " هنا مع أنها ناصبة لا مخففة بدليل عطف المنصوب عليه من قوله تعالى : أو يعفو " الذى بيده عقد النكاح " وهو الزوج المالك لعقد النكاح وحله ، ومعنى عفوه تركه تكرماً لما يعود إليه من نصف المهر الذى ساقه كاملاً على ما هو المعتاد أو إعطاءه تمام المهر المفروض قبل وبعد الطلاق كما فسره بذلك ابن عباس – رضى الله عنهما – وتسمية ذلك عفواً من باب المشاكلة [1] " وأن تعفوا أقرب للتقوى " تذييل أى العفو من

[1] روح المعانى – الألوسى جـ٢ المجلد الأول ص ١٥٤

حيث هو ، ولذلك حذف المفعول ، والخطاب لجميع الأمة جاء بجمع المذكر للتغليب ، وليس خطاباً للمطلقين . وإلا لما شمل عفو النساء مع أنه كله مرغوب فيه ، ومعنى كون العفو أقرب للتقوى : أن العفو أقرب إلى صفة التقوى من التمسك بالحق . لأن التمسك بالحق لا ينافى التقوى لكنه يؤذن بتصلب صاحبه وشدته ، والعفو يؤذن بسماحة صاحبه ورحمته ، والقلب المطبوع على السماحة والرحمة ، أقرب إلى التقوى من القلب الصلب الشديد " ولا تنسوا الفضل بينكم " عطف الجملة الاسمية المقصود منها الأمر على أبلغ وجه أى لا تتركوا أن يتفضل بعضكم على بعض كالشئ المنسى والظرف إما متعلق بتنسوا أو بمحذوف وقع حالاً من الفضل، وليس المراد منه النهى عن النسيان ، لأن ذلك ليس فى الوسع بل المراد منه الترك [1] وهذه الجملة تذييل ثان ، معطوف على التذييل الذى قبله لزيادة الترغيب ففى العفو بما فيه من التفضيل الدنيوى،وفى الطباع السليمة حب الفضل والنسيان مستعار للإهمال وقلة الاعتناء كما فى قوله تعالى:" فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا ":وهو كثير فى القرآن وقوله : " إن الله بما

[1] حاشية الشيخ محى الدين زادة على تفسير البيضاوى جـ١ ص ٥٥١

سلون يصير " تعليل للترغيب فى عدم إهمال الفضل وتعريض بأن العفو مرضاة الله تعالى ، فهو يرى ذلك منا فيجازى عليه [1] .

وبين هذه الجملة وما قبلها شبه كمال اتصال حيث أن الأولى متضمنة سؤالاً وهو لماذا نعفوا وصلحت الثانية لأن تكون جواباً عنه لحذف حرف العطف لما بينهما من ربط معنوى .

****

٣- قال تعالى : " لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا " [2] .

قال ابن عباس : لما نزلت " وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله " قال " دخل قلوبهم منها شئ ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم : " قولوا سمعنا وأطعنا وسلمنا " قال فألقى الله الإيمان فى قلوبهم فأنزل الله تعالى " لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا " قال : قد فعلت ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا قال : قال : قد فعلت ... [3]

---

[1] تفسير التحرير والتنوير – الطاهر بن عاشور جـ٣ ص ٤٦٥

[2] البقرة ٢٨٦

[3] تفسير القرطبى جـ٣ ص ١٢٢٩ طـ دار الريان للتراث

" لا يكلف الله نفساً إلا وسعها " يحتمل أن يكون ابتداء خبر من الله ويحتمل أن يكون حكاية عن الرسول والمؤمنين على نسق الكلام فى قوله : وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير " ويؤيد ذلك ما أردفه من قوله : ربنا لا تؤاخذنا " فكأنه تعالى حكى عنهم طريقتهم فى التمسك بالإيمان والعمل الصالح وحكى عنهم ذلك أنهم وصفوا ربهم بأنه لا يكلف نفساً إلا وسعها : [1] فالله تعالى لا يكلف إلا بفعل يقدر المكلف على تحصيله وتركه حقيقة فضلاً منه تعالى ورحمة ، أو ما دون مدى طاقتها بحيث يتسع فيها طوقها ويتيسر عليها كقوله تعالى : " يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر " فهو يدل على عدم وقوع التكليف بالمحال ولا يدل على امتناعه [2] .

" لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت " من خير ومن شر لا ينتفع بطاعتها ولا يتضرر بمعاصيها غيرها وتخصيص الكسب للخير والاكتساب بالشر ، لأن الاكتساب فيه اعتمال والشر تشتهيه النفس وتنجذب إليه فكانت أجد فى تحصيله وأعمل بخلاف الخير ، وقال الإمام فخر الدين الرازى : واختلفوا فى أنه هل فى اللغة فرق

---

[1] التفسير الكبير – الفخر الرازى جـ٤ ص ١٥١

[2] حاشية الشيخ محى الدين زادة جـ١ ص ٣٩٨

الكسب والاكتساب ، قال الواحدى رحمه الله الصحيح عند اهل اللغة أن الكسب والاكتساب واحد لافرق بينهما قال ذو الرمة : القى أباه بذاك الكسب يكتسب والقرآن أيضاً ناطق بذلك ، قال الله تعالى " كل نفس بما كسبت رهينة " وقال " لا تكسب كل نفس إلا عليها " وقال " والذين يرمون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا " فدل هذا على إقامة كل واحد من هذين اللفظين مقام الآخر ، ومن الناس من سلم الفرق ، ثم فيه قولان :

أحدهما : أن الاكتساب أخص من الكسب ، لأن الكسب ينقسم إلى كسبه لنفسه ولغيره ، والاكتساب لا يكون إلا ما يكتسب الإنسان لنفسه خاصة يقال فلان كاسب لأهله ، ولا يقال مكتسب لأهله ،

والثانى : قال صاحب الكشاف : إنما خص الخير بالكسب والشر بالاكتساب لأن الاكتساب اعتمال ، فلما كان الشر مما تشتهيه النفس ، وهى منجذبة إليه ، وأمارة به كانت فى تحصيله أعمل وأجد ، فجعلت لهذا المعنى مكتسبة فيه ، ولما لم يكن كذلك فى باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال [1] " ربنا لا

[1] التفسير الكبير جـ٤ ص ١٥٤

تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا " يحكى الله تعالى عن المؤمنين دعاءهم ، لأنه صلى الله عليه وسلم قال : " الدعاء مخ العبادة " ولا سيما إذا كان الداعى يشاهد نفسه فى مقام الفقر والحاجة والذلة والمسكنة ويشاهد جلال الله تعالى وكرمه وعزته وعظمته والمقصود من الدعاء هنا إظهار التضرع إلى الله تعالى ، ومعنى لا تؤاخذنا أى لا تعاقبنا ، وإنما جاء بلفظ المفاعلة وهو فعل واحد ، لأن الناسى قد أمكن من نفسه ، وطرق السبيل إليه بفعله ، فصار من يعاقبه بذنبه كالمعين لنفسه واختلف العلماء فى المراد من النسيان فذهب بعضهم إلى ان المراد منه هو النسيان نفسه الذى هو ضد الذكر ، فإن قيل : أليس أن فعل الناسى فى محل العفو بحكم دليل العقل حيث لا يجوز تكليف ما لا يطاق وبدليل السمع وهو قوله صلى الله عليه وسلم " رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه " فإذا كان النسيان فى محل العفو قطعاً فما معنى طلب العفو عنه فى الدعاء ؟ والجواب عنه أن النسيان فيه ما يعذر فيه صاحبه ، ومنه ما لا يعذر [1] .

[1] التفسير الكبير ص ١٥٧ جـ٤

ب الشيخ محى الدين زاده إلى أن معنى طلب العفو والتجاوز
مثل هذا النسيان طلب التجاوز عما يؤدى إليه من التقصير
والتفريط على طريق ذكر المسبب إرادة السبب الحاصل أن المراد
بالنسيان والخطأ ما يؤدى إليهما من التقصير والتفريط اللذين هما
سبب لهما [1].

****

٤- قال تعالى " فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليل منهم فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون " [2].

المعنى العام : " فبما نقضهم ميثاقهم " أى بسبب نقضهم ميثاقهم المؤكد لا شئ آخر استقلالاً وانضماماً ، فالباء سببية وما مزيده لتوكيد الكلام وتمكينه فى النفس ويجوز أن تكون " ما " نكرة بمعنى شئ ويكون الجار والمجرور متعلق بقوله تعالى " لعناهم " ومعنى

---

[1] حاشية الشيخ محى الدين زادة على تفسير البيضاوى جـ١ ص ٥٩٩

[2] سورة المائدة ١٣/١٤

اللعن : الطرد والإبعاد عن رحمة الله تعالى ، وعن الحسن ومقاتل أن المعنى مسخناهم قردة وخنازير ، وعن ابن عباس - رضى الله تعالى عنهما - عذبناهم بفرض الجزية عليهم ، فيكون الاستعمال فى المعنيين الأخيرين مجاز باستعماله فى لازم معناه ، وهو الحقارة بما ذكر لكنه لا قرينة فى الكلام عليه " وجعلنا قلوبهم قاسية " يابسة غليظة تنبو عن قبول الحق ولا تلين " يحرفون الكلام عن مواضعه " استئناف لبيان مرتبة قساوة قلوبهم فإنه لا مرتبة أعظم مما ينشأ عنه الاجتراء على تحريف كلام رب العالمين والافتراء عليه عز وجل ، والتعبير بالمضارع فى " يحرفون " للحكاية واستحضار الصورة وللدلالة على التجدد والاستمرار وجوز أن يكون حالاً من مفعول " لعناهم " [1].

" ونسوا حظاً " قال ابن عباس : تركوا نصيباً أُمِروا به فى كتابهم وهو الإيمان بمحمد - صلى الله عليه وسلم ، واستعمال النسيان بهذا المعنى كثير " مما ذكروا به " : من التوراة : أو بما أُمِروا به فيها من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم - ثم قال تعالى " ولا تزال تطلع على خائنة منهم " وفى

---

[1] تفسير روح المعانى - جـ٣ جزء ٦ ص ٨٩

خائنة وجهان: الأول : إن الخائنة بمعنى المصدر ونظيره كثير كالكافية والعافية ، وقال تعالى " فأهلكوا بالطاغية " أى بالطغيان ، وقال : " ليس لوقعتها كاذبة " أى كذب ، والثانى : أن يقول : الخائنة صفة والمعنى تطلع على فرقة خائنة أو نفس خائنة أو على فعلة ذات خيانة ، وقيل : أراد الخائن ، والهاء للمبالغة كعلامة ونسابة ، قال صاحب الكشاف : وقرئ على خيانة منه [1] إلا قليلا منهم " استثناء من الضمير المجرور فى " منهم " ، والمراد بالقليل عبد الله بن سلام ، وأضرابه الذين نصحوا لله تعالى ورسوله - صلى الله عليه وسلم - ، وجعله بعضهم استثناء من خائنة ، وقيل الاستثناء من قوله تعالى : " وجعلنا قلوبهم قاسية " ، " فاعف عنهم واصفح " أى إذا تابوا أو بذلوا الجزية ، وبين هذه الجملة وبين قوله تعالى : " إن الله يحب المحسنين " شبه كامل الاتصال حيث إنه تعليل للأمر فى قوله :" فاعف عنهم واصفح " وحث على الامتثال وتنبيه على أن العفو على الإطلاق من باب الإحسان .

[1] التفسير الكبير - الفخر الرازى جـ٣ الجزء السادس ص ١٩٢

" ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم " هذه الآية شروع فى بيان قبائح النصارى وجناياتهم أثر بيان قبائح وجنايات إخوانهم اليهود " فسوا على أثر أخذ الميثاق " .

****

٥- قال تعالى : " قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون " [1]

" ذهب شيخ أهل الكوفة الكسائى إلى أن التاء ضمير الفاعل وأداة الخطاب اللاحقة فى موضع المفعول الأول ، وذهب الفراء إلى أن حرف الخطاب واللواحق بعده فى موضع الرفع على الفاعلية وهى ضمائر نصب استعملت استعمال ضمائر الرفع ، والمختار عند كثير من المحققين ما ذهب إليه البصريون من جعل "كم" هنا وكذا سائر اللواحق حرف خطاب متعلق الاستخبار عندهم ، ومحل التبكيت قوله تعالى " أغير الله " وقوله سبحانه " إن كنتم صادقين " متعلق بأرأيتكم مؤكد للتبكيت كاشف عن كذبهم ،وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة المذكور عليه [2] وقيل : إن

[1] سورة الأنعام ٤٠/٤١

[2] روح المعانى مجلد ٤ الجزء السابع ص ١٤٩

جواب ما يدل عليه قوله تعالى " أغير الله تدعون " أعنى فادعوه على أن الضمير لغير الله وأعترض بأنه يخل بجزالة النظم كيف لا ؟ والمطلوب منهم إنما هو الإخبار بدعائهم غيره جل شأنه عند إتيان ما يأتى لا نفس دعائهم إياه " بل إياه تدعون " التقديم للتخصيص أى بل يخصونه سبحانه بالدعاء ، وليس لرعاية الفواصل ، والتخصيص مستفاد مما بعد وهو عطف جملة منفية تفهم من الكلام السابق كأنه قيل لا غير الله تدعون بل إياه تدعون " فيكشف ما تدعون إليه " أى ما تدعوته إلى كشفه ، واشترط فى الكشف المشيئة بقوله جل شأنه " إن شاء " وهو عز وجل لا يشاء كشف هايتك القوارع عنهم " وتنسون ما تشركون " عطف على " تدعون " والنسيان مجاز عن الترك كما روى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أى تتركون ما تشركون به تعالى من الأصنام تركاً كلياً وقيل يحتمل أن يكون على حقيقته فإنهم لشدة الهول ينسون ذلك حقيقة ، ولا يخطر لهم ببال ولا يلزم حينئذ أن ينسى الله تعالى لأن المعتاد فى الشدائد أن يلهج بذكره تعالى وينسى ما سواه سبحانه ، وقدم الكشف مع تأخره عن النسيان كتأخره عن

الدعاء لإظهار كمال العناية بشأنه والإيذان بترتبه على الدعاء خاصة [1] .

" ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك " كلام مستأنف سيق لبيان أن من المشركين من لا يدعوا الله عند إيقان العذاب لتماديه فى الغى الضلال ، ثم يقول الله عز وجل فى شأنهم " فلما نسوا ما ذكروا " أى تركوا ما دعاهم الرسل عليهم الصلاة والسلام إليه وردوه عليهم ولم يتعظوا به كما روى عن ابن جريح . فلما لم يتعظوا به فتحنا عليهم أبواب كل شئ " من النعم الكثيرة كالرخاء وسعة الرزق مكراً بهم واستدراجاً لهم ، واستشكل ذلك بأنه لا يظهر وجه سببه شئ لآخر تستلزم سببية لما يتوقف عليه " [2] .

****

٦- قال تعالى : " وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين " [3] .

---

[1] المرجع السابق ص ١٥٠

[2] روح المعانى حـ٤ الجزء السابع ص ١٥٢

[3] سورة الأنعام ٦٨

يقول " الله عز وجل لنبيه إذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا بالتكذيب والاستهزاء والطعن فيها كما هو دأب قريش وديدنهم فى أنديتهم فأعرض عنهم واتركهم ولا تجالسهم وأنى الله تعالى بـ "إذ" للدلالة على التحقيق ، بينما عبر فى " وإما ينسينك " " إن " للدلالة على القلة وعدم التحقيق - وأصل الخوض من خاض القوم فى الحديث وتخاوضوا إذا تفاوضوا فيه ، وذهب الطبرسى إلى أن أصل الخوض التخليط فى المفاوضة على سبيل العبث واللعب وترك التفهم والتبين ، وذهب بعض المحققين إلى أن أصل الخوض عبور الماء استعير للتفاوض فى الأمور ، حتى يخوضوا فى حديث غيره " أى فى كلام غير آياتنا وعبر بالخوض هنا للمشاكلة ، وفى الآية دلالة على حرمة القعود مع الخائض كلما خاض " ، " وإما ينسينك الشيطان " بأن يشغلك فتنسى الأمر بالإعراض عنه فتجالسهم ابتداء أو بقاء ، وهذا على سبيل الفرض إذا لم يقع ، وإن للشيطان سبيل إلى اشتغال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولذا عبر بأن الشرطية المزيدة " ما " بعدها ، هذا وقد اختلف العلماء فى توجيه الخطاب فى قوله تعالى : " وإما ينسينك الشيطان " فذهب بعض المحققين إلى أن الخطاب لسيد المخاطبين عليه الصلاة والسلام والمراد غيره ، وقيل لغيره ابتداء أى إذا رأيت أيها السامع

وإن أنساك أيها السامع ، والمشهور عن الرافضة اختيار أن النبى - صلى الله عليه وسلم - منزه عن النسيان لقوله تعالى : " سنقرئك فلا تنسى " بينما ذهب غيرهم إلى جوازه ، وقال الآلوسى : وأنا أرى أن محل الخلاف النسيان الذى لا يكون منشؤه اشتغال السر بالوساوس والخطرات الشيطانية فإن ذلك مما لا يرتاب مؤمن فى استحالته على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومذهب جمهور العلماء جواز النسيان عليه - صلى الله عليه وسلم - فى أحكام الشرع وهو ظاهر القرآن والأحاديث لكن اتفقوا على أنه صلى الله عليه وسلم - لا يقر عليه بل يعلمه الله تعالى به [1].

وقرأ ابن عامر " ينسينك " بتشديد السين ونسى بمعنى أنسى ، وقال ابن عطية : نسى أبلغ من أنسى والنون فى القراءتين مشددة وهى نون التوكيد " فلا تقعد بعد الذكرى " أى معهم ، فعبر الله تعالى بالاسم الظاهر فى موضع المضمر نعيا عليهم أنهم بذلك الخوض ظالمون واضعون للتكذيب والاستهزاء موضع التصديق والتعظيم راسخون فى ذلك .

---

[1] تفسير روح المعانى – الآلوسى جـ٤ الجزء السابع ص ١٨٣

٧ قال تعالى : " الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعباً وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون " [1].

ظاهر نظم الآيات إن قوله تعالى " الذين اتخذوا دينهم " هو من حكاية كلام أهل الجنة ، فيكون : " اتخذوا دينهم لهواً ... صفة للكافرين ، وجوز أن يكون " الذين اتخذوا دينهم لهواً " مبتدأ على أنه من كلام الله تعالى ، وهو يفضى إلى جعل الفاء فى قوله : " فاليوم ننساهم " داخله على خبر المبتدأ لتشبيه اسم الموصول بأسماء الشرط . كقوله تعالى : " واللذان يأتيانها منكم فآذوهما " وقد جعل قوله " الذين اتخذوا لهواً ولعباً - إلى قوله : وما كانوا بآياتنا يجحدون"آيةواحدة فى ترقيم أعداد آى المصاحف وليس بمتعين [2].

[1] فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا " اعتراض حكى به كلام يعلن به من جانب الله تعالى ، يسمعه الفريقان ، الفاء للتفريغ على قول أصحاب الجنة : إن الله حرمهما على الكافرين ، وهذا العطف بالفاء من قبيل ما يسمى بعطف التلقين الممثل له غالباً

[1] سورة الأعراف الآية ٥١

[2] تفسير التحرير والتنوير جـ٨ ص ١٥٠

بمعطوف بالواو فهو عطف كلام متكلم على كلام متكلم آخر ، وتقدير الكلام : قال الله " فاليوم ننساهم " فحذف فعل القول وهذا تصديق لأصحاب الجنة ومن جعلوا قوله " الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً : تصديق لأصحاب الجنة ومن جعلوا قوله " الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً : كلاماً مستأنفاً من قبل الله تعالى تكون الفاء عندهم تفريعاً فى كلام واحد [1].

وفى تفسير هذا النسيان قولان :

القول الأول: أن النسيان هو الترك والمعنى نتركهم فى عذابهم كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا.

القول الثانى : أن معنى ننساهم كما نسوا أى نعاملهم معاملة من نسى فنتركهم فى النار كما فعلوا هم فى الإعراض بآياتنا ، وبالجملة فسمى الله جزاء نسيانهم بالنسيان كما فى قوله " وجزاء سيئة سيئة مثلها " والمراد من هذا النسيان أنه لا يجيب دعاءهم ولا يرحمهم [2] ونفعل بهم فعل الناسى بالمنسى من عدم الاعتناء بهم وتركهم فى النار تركاً كلياً فالكلام خارج مخرج التمثيل فيكون استعارة أو مجازاً مرسلاً ، وعن مجاهد أنه قال : المعنى نؤخرهم فى

[1] المرجع السابق

[2] التفسير الكبير - جـ٧ ص ٩٩

ا ، وعليه فالظاهر أن ننساهم من النسى فهو التأخير لا من النسيان [1].

" كما نسوا لقاء يومهم هذا " فى محل نصب على أنه نعت لمصدر محذوف أى ننساهم نسياناً مثل نسيانهم لقاء هذا اليوم العظيم الذى ينبغى أن ينسى ، وليس الكلام على حقيقته أيضاً لأنهم لم يكونوا ذاكرى ذلك حتى ينسوه بل شبه عدم إخطارهم يوم القيامة ببالهم وعدم استعدادهم له بحال من عرف شيئاً ثم نسيه وذهب غير واحد إلى أن الكاف للتعليل متعلق بما عنده لا للتشبيه اذ يمنع منه قوله تعالى " وما كانوا بآياتنا يجحدون " لأنه عطف على ما نسوا وهو يستدعى أن يكون مشبهاً به النسيان مثله ، وتشبيه النسيان بالجحود غير ظاهر .

ومن ادعاه قال : المراد نتركهم فى النار تركاً مستمراً كما كانوا منكرين أن الآيات من عند الله تعالى إنكاراً مستمراً ، وقال القطب : الجحود فى معنى النسيان " ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون " الواو عاطفة هذه الجملة على جملة : " ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة " فالله تعالى لما شرح

---

[1] تفسير روح المعانى جـ٨ جزء ٨ ص ١٢٨

أحوال أهل الجنة ، وأهل النار ، وأهل الأعراف ، ثم شرح الكلمات الدائرة بين هؤلاء الفرق الثلاث على وجه يصير سماع تلك المناظرات حاملاً للمكلف على حذر الاحتراز وداعياً إلى النظر والاستدلال ، بين شرف هذا الكتاب الكريم ونهاية منفعته ، و " هدى ورحمة " فى موضع نصب أى فصلناه هادياً وذا رحمة وتأكيد هذا الفعل بلام القسم و " قد " إما باعتبار صفة " كتاب " وهى جملة : " فصلناه " فيكون التأكيد جارياً على مقتضى الظاهر ، لأن المشركين ينكرون أن يكون القرآن موصوفاً بتلك الأوصاف ، إما تأكيد لفعل " جئناهم بكتاب " وهو بلوغ الكتاب إليهم فيكون التأكيد خارجاً على خلاف مقتضى الظاهر بتنزيل المبلغ إليه منزلة من ينكر بلوغ الكتاب إليهم ، لأنهم فى أعراضهم عن النظر والتدبر فى شأنه بمنزلة من لم يبلغه الكتاب ، وفصلناه أى بينا ما فيه : " على علم " ظرف مستقر فى موضع الحال من فاعل " فصلناه " أى حال كوننا على علم . وفى لفظ " على " استعارة تصريحية تبعية حيث إنها للاستعلاء المجازى للدلالة على التمكن من مجرورها ، وتنكير " علم " للتعظيم ، أى عالمين أعظم العلم ، والعظمة هنا راجعة إلى كمال الجنس فى الحقيقة ، وجملة " هل ينظرون إلا تأويله " مستأنفة استئنافا بيانيا ، والاستفهام إنكارى ولذلك جاء

الاستثناء وهل ينظرون أى ما ينظرون فهو من النظرة أى الانتظار والاستثناء من عموم الأشياء المنتظرات أى ما ينظرون آية أعظم إلا تأويل الكتاب . وإطلاق الانتظار هنا استعارة تهكمية : " شبة حال تمهلهم إلى الوقت الذي سيحل عليهم فيه ما أو عدهم به القرآن بحال المنتظرين ، وهم ليس بمنتظرين ذلك إذ هم جاحدون وقوعه . " يوم يأتى تأويله يقول " فصلت هذه الجملة عما قبلها ، لأنها تنزل منها منزلة البيان المراد من التأويل وهو التأويل الذى سيظهر يوم القيامة وإتيان تأويله مجاز فى ظهوره وتبينه بعلاقة لزوم ذلك للإتيان . والتأويل مراد به ما به ظهور الأشياء الدالة على صدق القرآن فيما أخبرهم وما توعدهم[1] .

"يقول الذين نسوه من قبل " أى تركوه تركَ المنسى فأعرضوا عنه ، ولم يعملوا به . " قد جاءت رسل ربنا بالحق " خبر مستعمل فى الإقرار بخطئهم فى تكذيب الرسل وإنشاء للحسرة على ذلك .

" هل لنامن شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذى كنا نعمل" يجوز فى هذا الاستفهام أن يكون حقيقياً يقول بعضهم لبعض ويجوز أن يكون الاستفهام مستعملاً فى التمنى ، ويجوز أن يكون مستعملاً

[1] التحرير والتنوير جـ٨ ص ١٥٥

فى النفى ، وعلى الثلاثة انتصب الجواب " فيشفعوا " وجملة " قد خسروا أنفسهم " مستأنفة استئنافاً ابتدائياً تذييلاً وخلاصة لقصتهم أى فكان حاصل أمرهم أنهم خسروا أنفسهم من الآن وضل عنهم ما كانوا يفترون .

****

٨- قال تعالى : " فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون" [1] .

أى تركوا ما ذكرهم به صلحاؤهم ترك الناسى للشئ وأعرضوا إعراضاً كلياً،والنسيان مجاز عن الترك ، واستظهر أنه استعارة حيث شبه الترك بالنسيان بجامع عدم المبالاة ، وجوز أن يكون مجازاً مرسلاً بعلاقة السببية ، ولم يحمل على ظاهره كما قال بعض المحققين ، لأنه غير واقع ولأنه لا يؤخذ بالنسيان ولأن الترك عن عمد هو الذى يترتب عليه إنجاء الناهين فى قوله سبحانه وتعالى : " أنجينا الذين ينهون عن السوء " إذ يمثلوا أمرهم بخلاف ما لو نسوه فإنه كان يلزمهم تذكيرهم وظاهر الآية ترتب الإنجاء على النسيان

[1] الأعراف ١٦٥

و... ف الحقيقة مرتب على النسيان والتذكير " [1]وأخذنا الذين ظ... " أى بالاعتداء ومخالفة الأمر ، والظلم هنا بمعنى العصيان وهو ظلم النفس وظلم حق الله تعالى فى عدم الامتثال لأمره ، وقرأ نافع وأبو جعفر " بيس " بكسر الباء الموحدة مشبعة بياء تحتية ساكنة وبتنوين السين - على أن أصلة بئس - بسكون الهمزة وإبقاء التنوين على أن أصله بئيس ، وقرأه الجمهور بئيس بفتح الموحدة وهمزة مكسورة بعدها تحتية ساكنة وتنوين السين والمعنى على جميع القراءات أنه عذاب شديد الضر ، وتنكير " عذاب " للتفخيم والتهويل . " بما كانوا يفسقون " متعلق بأخذنا أى أخذهم بما ذكر من العذاب بسبب فسقهم المستمر .

****

٩- قال تعالى : " المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون " [2].

هذه الآية احتراس عن أن يظن المنافقون أن العفو المفروض لطائفة منهم هو عفو ينال فريقاً منهم باقين على نفاقهم ، فعقب ذلك

---

[1] روح المعانى جـ٥ الجزء ٩ ص ٩٢

[2] التوبة ٦٧

ببيان أن النفاق حالة واحدة وأن أصحابه سوء فهم متشابهون فى النفاق كتشابه أبعاض الشئ الواحد والمرد الاتحاد فى الحقيقة . وجملة " يأمرون بالمنكر " مبينه لمعنى الاتصال والاستواء فى الأحوال ، والمنكر المعاصى لأن الإسلام ينكرها ، والمعروف ضدها ، لأن الدين يعرفه " يقبضون أيديهم " كناية عن الشح والبخل فهم يقبضون أيديهم عن الإنفاق فى طاعة الله أمره ومرضاته ، وعن الجبائى أن المراد يمسكون أيديهم عن الجهاد فى سبيل الله تعالى وهو خلاف الشائع فى هذه الكلمة [1].

" نسوا الله فنسيهم " ذهب الأمام فخر الدين الرازى إلى أن هذا الكلام لا يمكن إجراؤه على ظاهره لأنا لو حملناه على النسيان ليس فى وسع البشر ، وأيضاً فهو فى حق الله تعالى محال فلابد من التأويل ، وهو من وجهين : الأول : معناه أنهم تركوا أمره حتى صار بمنزلة المنسى ، فجازاهم بأن صيرهم بمنزلة المنسى من ثوابه ورحمته ، وجاء هذا على أوجه الكلام كقوله : " وجزاء سيئة سيئة مثلها " الثانى : النسيان ضد الذكر ، فلما تركوا ذكر الله بالعبادة والثناء على الله ترك الله ذكرهم بالرحمة والإحسان ، وإنما حسن

---

[1] تفسير روح المعانى - جـ٥ الجزء ٩ ص ١٣٣

- النسيان كناية عن ترك الله ذكرهم بالرحمة والإحسان ، وإنما حسن جعل النسيان كناية عن ترك الذكر لأن من نسى شيئاً لم يذكره ، فجعل اسم الملزوم كناية عن اللازم [1].

ونسيان الله إياهم مشاكله أى حرمانه مما أعد للمؤمنين " إن المنافقين هم الفاسقون " قصر إدعائى للمبالغة لأنه لما بلغوا النهاية فى الفسوق جعل غيرهم كمن ليس بفاسق وعبر الله تعالى بالاسم الظاهر " المنافقين " فى مقام المضمر لزيادة تقريرهم فى الذهن لهذا الحكم .

****

١٠- قال تعالى: "وقال للذي ظن أنه ناجٍ منهما أذكرنى عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث فى السجن بضع سنين " [2].

" اختلفوا فى أن الموصوف بالظن هو يوسف عليه السلام- أو الناجى فعلى الأول كان المعنى وقال الرجل الذى ظن يوسف عليه السلام كونه ناجياً وعلى الثانى : أن هذا الظن صفة الناجى ، فإن الرجلين السائلين ما كانا مؤمنين بنبوة يوسف ورسالته ، ولكنهما كانا حسنى الاعتقاد فيه ، فكان قوله لا يفيد فى حقهما إلا مجرد

[1] التفسير الكبير حـ ص ١٢٩

[2] سورة يوسف ٤٢

الظن [1] وعبر الله تعالى بالماضى بدل المضارع فى قوله " ظن أنه ناج " مبالغة فى الدلالة على تحقيق النجاة " أذكرنى عند ربك " أى عند الملك ، وهو ملك مصر ، أذكر عنده أنه مظلوم من جهة أخوته لما أخرجوه وباعوه ، ثم أنه مظلوم فى هذه الواقعة التى لأجلها حبس فهذا هو المراد من الذكر " فأنساه الشيطان ذكر ربه " الضميران فى " فأنساه " و " ربه " يحتملان أن يعود إلى يوسف عليه السلام أى أن الشيطان أنسى يوسف عليه السلام ذكر الله تعالى ، فللذكر الثانى غير الذكر الأول .

ولعل كلا الاحتمالين مراد وهو من بديع الإيجاز . " بضع سنين " البضع : من الثلاث إلى التسع .

****

١١- قال تعالى : " ولا تقولن لشئ إنى فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربى لأقرب من هذا رشدا " [2].

قال المفسرون : إن القوم لما سألوا النبى - صلى الله عليه وسلم - عن المسائل الثلاثة ، قال عليه الصلاة والسلام أجيبكم عنها غداً ،

[1] التفسير الكبير حـ١٢ ص ١٤٦

[2] سورة الكهف ٢٤

بقل إن شاء الله ، فاحتبس الوحى خمسة عشر يوماً وفى رواية ى أربعين يوماً ، ثم نزلت هذه الآية .

" لا أن يشاء الله " أن يأذن لك فى ذلك القول ، والمعنى أنه ليس لك أن تخبر عن نفسك أنك تفعل الفعل الفلانى إلا إذا أذن الله لك فى ذلك الاخبار ، ويجوز أن يكون التقدير " إلا أن تقول ، والسبب فى أنه لابد من ذكر هذا القول هو أن الإنسان إذا قال سأفعل الفعل الفلانى إذا لم يبعد أن يموت قبل مجئ الغد ولم يبعد أيضاً لو بقى حياً أن يعوقه عن ذلك الفعل شئ من العوائق . فإذا كان لم يقل إن شاء الله صار كاذباً فى ذلك الوعد - والكذب منفرد وذلك لا يليق بالأنبياء عليهم السلام ، فلهذا السبب أوجب عليه أن يقول : إن شاء الله حتى أن بتقدير أن يتعذر عليه الوفاء بذلك الموعود لم يصر كاذباً فلم يحصل التنفيذ [1] وعبر الله تعالى عن الذى سيفعله الفاعل غداً بأنه شئ وهو فى حكم المعدوم ، وذلك أن الذى سيصير شيئاً يجوز تسميته بكونه شئ فى الحال .

" واذكر ربك إذا نسيت " عطف على النهى ، أى لا تعد بوعد فإنه نسيت فقلت إنى فاعل . فاذكر ربك ، أى اذكر ما نهاك عنه

[1] التفسير الكبير جـ١٥ ص ١١٠

، والمراد بالذكر التدارك وهو هنا مشتق من الذكر بضم الذال - وهو كناية عن لازم التذكر ، وهو الامتثال كما قاله سيدنا عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - : " أفضل من ذكر الله باللسان ذكر الله عند أمره ونهيه " .

****

١٢- قال تعالى : " إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربى لأقرب من هذا رشدا " [1] .

قال صاحب الكشاف [2] " إلا أن يشاء الله " متعلق بالنهى ونص على ذلك أبو حيان فى البحر المحيط [3] قال الزمخشرى وهذا فى تأديب من الله ونص على ذلك صاحب التفسير المنير [4] .

وقال الزمخشرى " إذا نسيت " تشديد فى البعث على الاهتمام بما . وقال صاحب فتح البيان مبالغة فى الحث عليه [5] وقال صاحب

[1] سورة الكهف ٢٤

[2] الكشاف للزمخشرى جـ٢ ص ٣٨٦

[3] البحر المحيط جـ٧ ص ١٦٢

[4] التفسير المنير جـ١٥ ص ٢١٤

[5] فتح البيان جـ٥ ص ٤١٤

الإلهية : الاستثناء مبالغة فى الحث عليه [1] كما قال صاحب فتح البيان وكذا ذكره الإمام الآلوسى وزاد قوله وقيل المعنى واذكر ربك وعقابه إذا تركت بعض ما أمرك به ليبعث ذلك على التدارك وحمل النسيان على الترك مجاز لعلاقة السببية والمسببية و " نسيت " على هذا منزل منزلة الإلزام [2] وقال صاحب التفسير الوسيط هو تأكيد لما قبله [3].

وقال الفخر الرازى المراد منه الترغيب فى الاهتمام بذكر هذه الكلمة [4] وقال صاحب التحرير والتنوير : " وذكر ربك إذا نسيت " هو كناية عن لازم التذكر وهو الامتثال ، وفى تعريف الجلالة بلفظ الرب مضافاً إلى ضمير المخاطب دون اسم الجلالة العلم من كمال الملاطفة مالا يخفى وحذف مفعول نسيت لظهوره من المقام ، وزاد " عسى " مستعملة فى الرجاء تأدبياً [5].

وذكر أبو حيان فى قوله " إلا أن يشاء الله " قول ابن عطية قال : قال ابن عطية فى الكلام حذف يقتضيه الظاهر ويحسنه الإيجاز

---

[1] الفتوح الالهية حـ٣ ص ١٨

[2] روح المعانى المجلد التاسع حـ١٥ ص ٣٦٢

[3] التفسير الوسيط المجلد الثامن ص ٤٩٩

[4] التفسير الكبير المجلد الحادى عشر حـ٢١ ص ١١٢

[5] التحرير والتنوير حـ١٥ ص ٢٩٩

تقديره : إلا أن تقول : " إلا أن يشاء الله " أو إلا أن تقول إن شاء الله فليس " إلا أن يشاء الله " من القول الذى نهى عنه [1].

****

١٣- قال تعالى : "ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسى ما قدمت يداه إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا " [2].

وصف الله عز وجل الكفار بالصفات الموجبة للخزى والخذلان فى قوله : " ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه " أى لا ظلم أعظم من كفر من ترد عليه الآيات والبينات فيعرض عنها وينسى ما قدمت يداه أى مع إعراضه عن التأمل فى الدلائل والبيانات يتناسى ما قدمت يداه من الأعمال المنكرة والمذاهب الباطلة ، وعطف الله تعالى إعراضهم عن الذكر بفاء التعقيب فيها إشارة إلى أنهم سارعوا بالإعراض ولم يتركوا لأنفسهم مهلة النظر والتأمل ، و " من " استفهام مستعمل فى الإنكار أى لا أحد أظلم هؤلاء المتحدث عنهم ، النسيان مستعار هنا للتغاضى عن العمل " ما قدمت يداه " من الأعمال الفاسدة والآية مسوغة بصيغة العموم

---

[1] البحر المحيط حـ٧ ص ١٦٢

[2] سورة الكهف ٥٧

نصود منها كفار مكة ، " إنا جعلنا على قلوبهم أكنه " مستأنفة بيانية نشأت على جملة " ونسى ما قدمت يداه " أى إن لم تعلم سبب نسيانه سبب ما قدمت يداه فاعلم أنا جعلنا على قلوبهم أكنه ، وهو يفيد معنى التعليل بالمآل وليس موقع الجملة مع الجملة التعليلية [1] والمراد بالقلوب مدارك العلم ، والأكنة : جمع كنان ، وهو الغطاء ، و " أن يفقهوه " مجرور بحرف محذوف أى يفقهوه ، والضمير عائد إلى القرآن والوقر ثقل السمع .

****

١٤- قال تعالى : " أرأيت إذا أوينا إلى الصخرة فإنى نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله فى البحر عجبا " [2].

الرؤية مستعارة للمعرفة التامة والمشاهد الكاملة ومراده بالاستفهام تعجيب موسى عليه السلام ، وذكر الإيواء إلى الصخرة مع أن المذكور فيما سبق بلوغ مجمع البحرين لزيادة تعيين محل الحادثة " فإنى " قال وفيه تأكيد للتعجيب وتربية لاستعظام المنسى ، " فإنى نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان " ليس المراد من الاستخبار حقيقته بل تهويل الأمر أيضاً وإيقاع النسيان على اسم الحوت دون

[1] التحرير والتنوير جـ١٥ ص ٣٥٥

[2] سورة الكهف ٦٣

ضمير العذاء مع أنه المأمور بإتيانه قيل للتنبيه من أول الأمر على أنه ليس من قبيل نسيان زاده فى المنزل وقيل للتصريح بما فى فقده إدخال السرور على موسى عليه السلام وجواز أن يكون مجازاً عن الفقد فيكون متعلقاً بنفس الحوت واتخذ سبيله فى البحر عجباً " وفى ذكر السبيل ثم إضافته إلى ضمير الحوت ثم جعل الظرف حالا من المضاف تنبيه إجمالى على أن المفعول الثانى من جنس الأمور الغريبة وفيه تشويق للمفعول الثانى وتكرير مفيد للتأكيد المناسب للمقام [1].

وقال صاحب الفتوح الإلهية : " قال أرأيت " أى تنبيه وذكر قولى أبى حيان حيث قال : " يمكن أن يكون مما حذف منه المفعولان اختصاراً والتقدير أرأيت أمرنا ما عاقبته أ هـ .

وقال وعبارة أبى السعود وذكر الإيواء إليها مع أن المذكور فيما سبق مجمع البحرين لزيادة تعيين محل الحادثة ، وقال الرؤية مستعارة للمعرفة التامة والمشاهدة الكاملة .

وقال صاحب البحر المحيط : " قال أرأيت إذا أوينا إلى الصخرة فإنى نسيت الحوت " ما دخلت الفاء إلا وقد أخرجت لمعنى إما أو

[1] روح المعانى المجلد التاسع ص ٤٥٦ ٤٥٩

الأخفش " وما أنسانيه إلا الشيطان " حسن أدب ، سبب سيان إلى المتسبب فيه بوسوسته وقال : قال الزمخشري هو اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وقيل " عجبا " حكاية لتعجب موسى وليس بذاك ، وذكر قول ابن عطية حيث قال ابن عطية وقال ويحتمل أن يكون قوله : " واتخذ سبيله فى البحر " تمام الخبر ثم استأنف التعجب فقال من قبل نفسه "عجباً " لهذا الأمر [1].

****

١٥- قال تعالى : " قال لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا " [2].

لما شاهد سيدنا موسى عليه السلام خرق السفينة من ذلك العالم وهو أمر خارج عن العادة بحسب الظاهر نسى الشرط المتقدم بينهما وهو عدم السؤال ، وأحب أن يقف عن وجهه وسببه ، فقال له العالم : " ألم أقل إنك لن تستطيع معى صبراً " فعند هذا اعتذر موسى عليه السلام بقوله : " لا تؤاخذنى بما نسيت " أراد أنه نسى وصيته ولا مؤاخذة على الناسى بشئ " ولا ترهقنى من

[1] البحر المحيط حـ٧ ص ٢٠٢ ، ٢٠٣

[2] سورة الكهف ٧٣

أمرى عسرا " يقال : رهقه إذا غشيه وأرهقه إياه أى ولا تغشنى من أمرى عسرا ، وهو اتباعه إياه يعنى ولا تعنى ولاتعسر على متابعتك ويسرها على بالإغضاء ، وترك المناقشة ، وقرئ " عسوا " بضمتين [1].

****

١٦ - قال تعالى : " قالت يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسياً منسيا " [2].

قالت هذا القول مع أنها كانت تعلم أن الله تعالى بعث جبريل إليها وخلف ولدها من نفخ جبريل عليه السلام ووعدها بأن يجعلها وابنها آية للعالمين والجواب من وجهين :

الأول : قال وهب أنساها كربة الغربة وما سمعته من الناس من بشارة الملائكة بعيسى عليه السلام

الثانى : أن عادة الصالحين إذا وقعوا فى بلاء أن يقولوا ذلك [3] وقرأ الجمهور " مت " بكسر الميم وقرأ ابن كثير وابن عامر ، وأبو عمرو ، وعاصم ، وأبوجعفر بضم الميم وهما لغتان فى فعل "

[1] التفسير الكبير حـ١٧ ص ١٥٥

[2] سورة مريم ٢٣

[3] التفسير الكبير حـ١٧ ص ٢٠٤

" إذا اتصل به ضمير رفع متصل ، وقرأ ابن وثاب والأعمش وحمزة نسياً بالفتح والباقون نسياً بالكسر قال الفراء هما لغتان ، وقرأ محمد ابن كعب القرظي نسيئاً بالهمز وهو لحليب المخلوط بالماء ينساه أهله لقلته وقرأ الأعمش منسياً بالكسر على الاتباع والنِسْيُ بكسر النون وسكون الشين في قراءة الجمهور : الشئ الحقير الذى شأنه أن ينسى ، والعرب تسمى الأشياء التي يغلب إهمالها أنساء يقولون عند الارتجال أنظروا أنساءكم أى الاشياء التي شأنكم أن تنسوها . ووصف النسى بمنسى مبالغة فى نسيان ذكرها ، أى ليتنى كنت شيئاً غير متذكر وقد نسبة أهل وتركوه فلا يلتفتون إلى ما يحل به ، فهى تمنت الموت وانقطاع ذكرها بين أهلها من قبل ذلك [1] قال صاحب الكشاف : النسى ما من حقه أن يطرح وينسى كخرقة الطمث ونحوها .

****

١٧- قال تعالى : " وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا " [2] .

---

[1] التحرير والتنوير جـ ١٧ ص ٨٦

[2] سورة مريم ٦٤

" وما نتنزل إلا بأمر ربك " خطاب جماعة لواحد ، وذلك لا يليق إلا بالملائكة الذين يتنزلون على الرسول ، ويجوز أن يكون قول أهل الجنة المراد وما نتنزل الجنة إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا أى فى الجنة مستقبلاً وما خلفنا ما كان فى الدنيا وما بين ذلك أى ما بين الوقتين " .

" وما كان ربك نسيا " هذه الجملة من الكلام الملقن به جبريل - عليه السلام - جواباً للنبى - صلى الله عليه وسلم - ونسيا أى تاركاً لك كقوله : " ما ودعك ربك وما قلى " وهى صيغة مبالغة من نسى أى كثير النسيان أو شديدة ، فالمبالغة منصرفة إلى طول مدة النسيان ، وفسر بمعنى شديد النسيان ، فيتعين صرف المبالغة إلى جانب نسبة نفى النسيان عن الله ، أى تحقيق نفى النسيان ، والآية كناية عن إحاطة علم الله تعالى " [1] .

****

١٨- قال تعالى : " قال فما بال القرون الأولى قال علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى " [2] .

---

[1] تفسير التحرير والتنوير جـ١٧ ص ١٤١

[2] سورة طه ٥١-٥٢

فرعون كان شديد القوى عظيم الغلبة كثير العسكر ثم إن موسى عليه السلام لما دعاه إلى الله تعالى لم يشتغل معه بالبطش والإيذاء بل خرج معه فى المناظرة ، وعندما قال : " فما بال القرون الأولى " فلم يلتفت موسى - عليه السلام - إلى ذلك الحديث بل قال : " علمها عند ربى فى كتاب " ولا يتعلق غرضى بأحوالهم فلا اشتغل بها وإضافة العلم إلى ضمير القرون من إضافة المصدر إلى مفعوله ، وضمير علمها عائد إلى " القرون الأولى " لأنه بلفظ الجمع ويجوز أن يؤنث ضميره ، وقوله : " فى كتاب " يحتمل أن يكون الكتاب مجازاً فى تفصيل العلم تشبيهاً له بالأمور المكتوبة ، وأن يكون كناية عن تحقيق العلم لأن الأشياء المكتوبة تكون محققة ، ويؤكد هذا المعنى قوله : " لا يضل ربى ولا ينسى " والضلال : الخطأ فى العلم ، شبه بخطأ الطريق ، والنسيان : عدم تذكر الأمر المعلوم فى ذهن العالم [1] " وذهب الفخر الرازى إلى أن معنى اللفظين واحد أى لا يذهب عليه شئ ولا يخفى عليه وهذا قول مجاهد والأكثرون على القول بينهما ، قال القفال : لا يضل عن الأشياء ومعرفتها وما علم من ذلك لم ينسه ، فاللفظ الأول

---

[1] التحرير والتنوير جـ١٧ ص ٢٣٥

إشارة إلى كونه عالماً بكل المعلومات ، واللفظ الثانى وهو قوله " ولا ينسى " دليل على بقاء ذلك العلم أبد الآباد وهو إشارة إلى نفى التغيير " [1] .

****

١٩- قال تعالى : " فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسى " [2] .

أما قوله : " فنسى " فاختلف فيه العلماء على أنه كلام الله تعالى كأنه أخبر عن السامرى أنه نسى الاستدلال على حدوث الأجسام وأن الإله لا يحل فى شئ ولا يحل فيه شئ ، ثم أنه سبحانه بين المعنى الذى يجب الاستدلال به ، وهو قوله : " أفلا يرون أن لا يرجع إليهم قولاً ، ولا يملك لهم ضراً ولا نفعا " أى لم يخطر ببالهم أن من لا يتكلم ولا يضر ولا ينفع لا يكون إلهاً ولا يكون للإله تعلق به فى الحالية والمحلية وذهب قوم إلى أنه من قول السامرى وصف به موسى عليه السلام ، والمعنى أن هذا إلهكم وإله موسى فنسى موسى أن هذا هو الإله فذهب يطلبه فى موضع آخر ، وجعله جمع

---

[1] التفسير الكبير جـ١١ ص ٦٨

[2] سورة طه ٨٨

المفسرين عائد إلى موسى ، أى فنسى موسى إلهكم وإلهه ، أى غفل عنه ، وذهب إلى الطور يفتش عليه وهو بين أيديكم ، والنسيان : يكون مستعملاً مجازاً فى الغفلة [1].

****

٢٠- قال تعالى : " ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسيه ولم نجد له عزما " [2]

الواو عاطفة ، واللام جواب قسم محذوف ، وإنما عطف قصة آدم على قوله : " وصرفنا فيه من الوعيد " للدلالة على أن أساس بنى آدم على العصيان وعرقهم راسخ فى النسيان ، والجملة الثانية وإن كانت إنشائية والأولى خبرية لكن الإنشائية مشتملة على ذيل وقصة فى حكم الخبرية ، فعطفت على الخبرية كما تعطف الخبرية على مثلها ، ووجه المناسبة بين القصتين إنه تعالى بين بالجملة الأولى أن الإنسان إنما يثبط عن المعاصى والمنكرات بتكرير آيات الوعيد وتجديد التهديدات حيث قال " وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا " ثم أردفه بقصة آدم كأنه قال إن طاعة

[1] التفسير الكبير جـ١١ ص ١٠٥ - التحرير والتنوير جـ١٧ ص ٢٨٧

[2] سورة طه ١١٥

بنى آدم للشيطان وتركهم التحفظ عليه أمر قديم فإنا قد عهدنا إلى آدم قبل هؤلاء الذين صرفنا لهم الوعيد وبالغنا فى تنبيه حيث قلنا إن هذا عدو لك ولزوجك ثم أنه مع ذلك نسى وترك ذلك العهد فظهر أن أمر البشر فى ترك التحفظ أمر قديم " [1].

" ولم نجد له عزما " تصميم رأى وثبات على الأمر إذ لو كان ذا عزيمة وتصلب لم يزله الشيطان ولم يستطع تعزيره ، ولعل ذلك كان فى بدء أمره قبل أن يجرب الأمور .

****

٢١- قال تعالى : " قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى " [2].

الإشارة فى كذلك أتتك آياتنا " راجعة إلى العمى المضمن فى قوله : " لم حشرتنى أعمى " أى مثل ذلك الحال التى تساءلت عن سببها كنت نسيت آياتنا حين أتتك ، وكنت تعرض عن النظر فى الآيات حين تدعى إليه فكذلك الحال كان عقابك عليه جزاءً وفاقا .

والنسيان فى الموضعين مستعمل كناية أو استعارة فى الحرمان من خطوط الرحمة " [1].

[1] حاشية محى الدين زادة على البيضاوى جـ٣ ص ٣٣٤ - حاشية الشهاب جـ٦ ص ٢٢٨

[2] سورة طه ١٢٦

٢٧- قال تعالى : " فاتخذتموهم سخر حتى أنسوكم ذكرى وكنتم منهم تضحكون " [1].

قرأنا نافع والكسائى وأبوجعفر وخلف بضم السين ، وقرأ الباقون بكسرها ، وهما وجهان ومعناهما واحد لا فرق بينهما خلافاً لأبى عبيدة والكسائى والفراء الذين جعلوا المكسورة مأخوذاً من سخر بمعنى هزأ ، والمضموم ماخوذ من السخرة بضم السين وهى الاستخدام بلا أجر : فلما قصد منه المبالغة فى حصول المصدر أدخلت ياء النسبة " حتى " ابتدائية ومعناها معنى فاء السببية فهى استعارة تبعية شبه التسبب القوى بالغاية فاستعملت فيه " حتى " " أنسوكم ذكرى " من فرط تشاغلكم بالاستهزاء بهم تخافوا الله فيهم فذكر الله كناية عن خوفه ، لأن من خافه ذكره ونسيان ذكره لعدم المبالاة والخوف ، واسناد الإنساء اليهم لأنهم سبب اذ بسبب التشاغل بهم نسوه [2].

---

[1] التحرير والتنوير جـ١٧ ص ٣٣٢

[2] سورة المؤمنون ١١٠

[3] حاشية الشهاب - المسماه عناية القاضى وكفاية الراضى على تفسير البيضاوى - جـ٦ ص ٣٤٩ طـ التاريخ العربى

فإسناد الإنساء إلى الفريق مجاز عقلى علاقته السببية ، ويجوز أن يكون فيه مجازاً بالحذف وبتقدير : حتى أنساكم السخرى بهم ذكرى ، والقرينة على الأول معنوية وعلى الثانى لفظية " [1] " وكنتم منهم تضحكون " وذلك غاية الاستهزاء ، وقيل : التعليل على معنى أنما خسأناكم كالكلب ولم نحتفلكم إذ دعوتهم لأنكم استهزأتم غاية الاستهزاء بأوليائى حتى دعوا واستمر ذلك منكم حتى نسيتم ذكرى بالكلية ولم تخافوا عقابى فهذا جزاؤكم ، كما أن فيه دلالة على اختصاص بالغ لأولئك العباد المسخور منهم " [2] " إنى جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون " فالله عز وجل يصف ما جازى به أولئك المؤمنين ، قرأ حمزة والكسائى إنهم بالكسر والباقون بالفتح ، فالكسر استئناف أى قد فازوا حيث صبروا فجوزوا بصبرهم أحسن الجزاء ، والفتح على أنه فى موضع المفعول الثانى من جزيت ويجوز أن يكون نصباً باضمار الخافض أى جزيتهم الجزاء الوافر لأنهم هم الفائزون " [3].

---

[1] التحرير والتنوير جـ١٨ ص ١٣٠

[2] روح المعانى جـ١٠ ص ١٠٣

[3] التفسير الكبير - ١٠٩ حاشية على الدين شيخ زادة على تفسير البيضاوى جـ٣ ص ٤١١ طـ دار صادر بيروت

٢٣- قال تعالى : " قالوا سبحانك ما كان ينبغى لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوماً بورا " [1].

" قالوا سبحانك " تعجباً مما قيل لهم إما ملائكة أو أنبياء معصومون أو جمادات لا تقدر على شئ ، أو إشعاراً بأنهم المسومون بتسبيحه وتوحيده فكيف يليق بهم ضلال عبيده ، أو تنزيهاً لله تعالى عن الأنداد " [2].

وسبحانك توطئة وتمهيد للجواب ؟ فقيل قالوا : سبحانك ، وكان الظاهر أن يعبر بالمضارع " يقولون " وكأن العدول عن الماضى إلى المضارع للدلالة على تحقق التنزيه والتبرئة وأنه حالهم فى الدنيا ، وقيل للتنبيه على أن إجابتهم بهذا القول هو محل الاهتمام ، فإن بهذا التبكيت والإلزام فدل بالصيغة على تحقق وقوعها . [3] " ما كان ينبغى لنا أن نتخذ من دونك من أولياء " أى ما صح وما استقام لنا أن نتخذ من دونك أولياء نعبدهم لما بنا من الحالة المنافية لذلك ، فأنى يتصور أن نحمل غيرنا على أن يتخذ ولياً غيرك فضلاً عن أن

---

[1] سورة الفرقان ١٧

[2] الشهاب حـ٦ ص ٤١٢

[3] روح المعانى حـ١٠ ص ٣٦٤

يتخذونا ولياً . " ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر " حسن الاستدراك هنا لأنه ينسب الضلال إليهم من حيث إنه بكسبهم واستغراقهم فى الشهوات " [1].

والاستدلال ناشئ عن التبرئ من أن يكونوا هم المضلين لهم بتعقيبه ببيان سبب ضلالهم لئلا يتوهم أن تبرئة أنفسهم من إضلالهم يرفع تبعة الضلال عن الضالين ، والمقصود بالاستدراك ما بعد " حتى " وهو " نسوا الذكر " وضمير " نسوا " وضمير " كانوا قوماً بورا " عائدان إلى الظالمين المكذبين بالإسلام دون آبائهم لأن الآباء لم يسمعوا الذكر ، والنسيان مستعمل هنا فى الإعراض عن عمد على وجه الاستعارة ، لأنه إعراض يشبه النسيان فى كونه عن غير تأمل ولا بصيرة [2] " والذكر المراد به ذكر الله والإيمان به والقرآن والشرائع ، أو ما فيه حسن ذكرهم فى الدنيا والآخرة .

****

٢٤- قال تعالى : " فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون " [3].

---

[1] محى الدين شيخ زادة حـ٣ ص ٤٤٦

[2] التحرير والتنوير حـ١٨ ص ٣٤٠

[3] سورة السجدة ١٤

الفاء فى قوله : " فذوقوا " لترتيب الأمر بالذوق على ما يعرب عنه ما قبل من نفى الرجوع إلى الدنيا من قوله تعالى : " ولكن حق القول منى " ولعل هذا أسرع تبادراً وجعلها بعضهم واقعة فى جواب شرط مقدر ، أى إذا يئستم من الرجوع أو إذا حق القول فذوقوا ، وجوز بعضهم كون الفاء تفصيلية ، والأمر خرج عن معناه الحقيقى إلى التهديد والتوبيخ ، والباء فى قوله سبحانه : " بما نسيتم لقاء يومكم هذا " للسببية .

و " ما " مصدرية ، و " هذا " صفة يوم جئ به للتهويل ، ومفعول " ذوقوا " محذوف وعلة حذفه العموم ، والإشعار بأن سبب الذوق ليس مجرد ما ذكر من النسيان بل له أسباب أخرى من فنون الكفر والمعاصى التى كانوا مستمرين عليها فى الدنيا "[1] وظاهر الآية تدل على أن جميع ما هم عليه من سوء الحال مستند إلى القضاء السابق التعلق بشقاوتهم لأنه يفهم منه أن عدم إيمانهم يستند إلى الحكم المذكور فكيف جعل مستنداً إلى نسيانهم العاقبة أليس هما متدافعين وتقرير الجواب أنه لا تدافع بينهما لأن نسيان العاقبة من العلل المتوسطة لذوق العذاب واستناده إلى النسيان لا

[1] روح المعانى جـ١٢ ص ١٩٧ بتصرف

ينافى استناده بالآخرة إلى الحكم المذكور فإنه تعالى إنما قضى وحكم بذلك لعلمه بأنه يترك تفكر العاقبة ترك الشئ المنسى فإن قيل النسيان معفو عنه لقوله - عليه الصلاة والسلام - رفع عن أمتى الخطأ والنسيان فكيف يؤاخذهم الله تعالى بسبب نسيانهم ، فالجواب أنه ليس المراد بالنسيان المذكور بقوله : " بما نسيتم " نسيان السهو والغفلة إذا لا تبعة بما فعل فى حال السهو والغفلة ولأن النسيان إنما يكون بطريان الجهل على ما علم سابقاً والمشركون لم يعتقدوا حقيقة البعث حتى يلحقهم نسيان بل المراد به عدم التذكر به مع ظهور براهينه فإن من انهمك فى اتباع الشهوات وأعرض عن التفكير فى العاقبة والتزود لها بالإيمان والطاعة مع وضوح دلائلها ووفور دواعى التهى لها بمنزلة من علمها ثم نسيها فلذلك عبر عن تذكرها والتفكر فيها بلفظ النسيان إشارة إلى كونهم منكرين لأمر ظاهر "[1] " لقاء يومكم هذا " فى نصب لقاء وجهان :

الأول : أنه يحتمل أن يكون منصوباً بذوقوا ، أى : ذوقوا لقاء يومكم بما نسيتم ، ويحتمل أن يكون منصوباً بقوله " نسيتم " أى

[1] حاشية محى الدين شيخ زادة جـ٤ ص ٤٨-٤٩

...تم لقاء هذا اليوم ذوقوا ، " إنا نسيناكم " ، تركناكم من
الر... أو من العذاب ترك المنسى ، وفى استئنافه وبناء الفعل على
إن واسمها تشديد فى الانتقام منهم وترك من الرحمة ، أو فى العذاب
وإن تغايرا متقاربان ، وهو إشارة إلى أن النسيان بمعنى الترك لأنه
محال عليه تعالى وهو استعارة أو مجاز كما أن النسيان السابق أيضاً
مجاز مرسل ، وقد جعله الزمخشرى مقابلة أى مشاكلة كما صرح
به فى الكشاف وكون المشاكل الأول مجاز لا يمنع منها والقرينة على
قصد المشاكلة فيه أنه قصد جزاؤهم من جنس عملهم فهو على
حد قوله تعالى : " وجزاء سيئة سيئة مثلها " لكنه بادر فى بابه فلا
يرد الرد عليه بأنه مجاز [1] . " وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون
" كرر الله الأمر فى " ذوقوا " للتأكيد ، ولما كان من حق التأكيد
أن لا يعطف ولكن لما نيط من التصريح بمفعوله ، فكان فيه زيادة
على الأول جعلته بمغايرته للأول مستحقاً للعطف ، والمفعول "
عذاب الخلد " والباء أفادة السببية .

****

[1] حاشية الشهاب على تفسير البيضاوى جـ٧ ص ١٥٢

٢٥- قال تعالى : " وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم " [1]

" وضرب لنا مثلاً " معطوف على الجملة المنفية الداخلة فى حيز الإنكار ، والمعنى ففاجأ خصومتنا وضرب لنا مثلاً ، أورد فى شأننا قصة عجيبة فى نفس الأمر هى فى الغرابة كالمثل ، وهى إنكار إحيائنا العظام ، وضرب المثل : إيجاده كما يقال : ضرب خيمة وضرب دينار ، والمثل تمثيل الحالة ، " ونسى خلقه " النسيان هنا مستعار لانتفاء العلم من أصله ، أى لعدم الاهتداء إلى كيفية الخلق الأول [2] أو نسى أنا خلقناه من تراب ثم من نطفة متشابهة الأجزاء ثم جعلنا له من ناصيته إلى قدمه أعضاء مختلفة الصور ، وذكر الشهاب أن نسيانه إما حقيقة بأن لم يتذكره أو ترك تذكره لكفره وعناده أو هو كالناسى لعدم جريه على مقتضى التذكير [3] " قال من يحيى العظام وهى رميم " هذه الجملة بيان للجملة السابقة عليها " وضرب لنا مثلاً " والاستفهام هنا إنكارى ، وجملة " وهى رميم " جملة حالية ، أى فى حال كونها رميماً .

---

[1] سورة يس ٧٨

[2] التحرير والتنوير جـ٢٣ ص ٧٤

[3] حاشية الشهاب جـ٧ ص ٢٥٤ ـ حاشية محى الدين شيخ زادة ج٤ ص ١٤

٦ قال تعالى : "وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيباً إليه ثم إذا خوله نعمة منه نسى ما كان يدعوا إليه من قبل وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النار" [1]

هذا مثال لتقلب المشركين بين إشراكهم مع الله غيره فى العبادة ، وبين إظهار احتياجهم إليه ، فذلك عنوان على مبلغ كفرهم وأقصاه ، والتعريف فى لفظ " الإنسان " تعريف الجنس ولكن عمومه هنا عموم عرفى لفريق من الإنسان هنا وهم أهل الشرك خاصة ، لأنه قوله " وجعل لله أنداداً " لا يتفق مع حال المؤمنين [2] .

وقيل المراد بالإنسان أقوام معينون مثل عتبة بن ربيعة وغيره ، وقيل المراد به الكافر الذى تقدم ذكره ، أما قوله : " ضر " فيدخل فيه جميع المكاره سواء كان فى جسمه أو فى ماله أو أهله وولده ، لأن اللفظ مطلق فلا معنى للتقييد ، و " دعا ربه " أى استجار بربه وناداه ولم يؤمل فى كشف الضر سواه ، فلذلك قال : " منيباً إليه " أى راجعاً إليه وحده فى إزالة ذلك الضر لأن الإنابة

---

[1] سورة الزمر ٨

[2] التحرير والتنوير حـ٢٣ ص ٣٤٢

هى الرجوع " ثم إذا خوله نعمة منه " أى أعطاه ، قال صاحب الكشاف : وفى حقيقته وجهان :

أحدهما : جعله خائل مال من قولهم هو خائل مال وخال مال ، وإذا كان متعهداً له حسن القيام به ومنه ما روى عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه كان يتخول أصحابه بالموعظة .

والثانى : جعله يخول من حال يخول إذا اختال وافتخر [1] نسى ما كان يدعوا إليه من قبل أى نسى الضر الذى كان يدعوا الله إلى كشفه أو ربه الذى كان يتضرع إليه و " ما " مثل الذى فى قوله : " وما خلق الذكر والأنثى " [2] ويجوز أن يراد بما معنى من للدلالة على الوصفية والتفخيم واقفاً عليه تعالى ، والدعاء على ظاهره وتعديته بالى لتضمينه معنى الإنابة أو التضرع والابتهال ، والمعنى نسى ربه الذى كان يدعوه ، وقيل : هى نافية وتم الكلام عند قوله تعالى : " نسى " أى نسى ما كان فيه من الضر [3] والنسيان هنا استعارة عن الترك يقول الشيخ زادة نسيانه ترك رعايته كأنه لم

---

[1] التفسير الكبير حـ ص ٢٥٠

[2] النهاية حـ٧ ص ٣٢٠

[3] روح المعانى حـ١٣ ص ٣٦١

يد قط ، ولو أراد النسيان الحقيقى لما ذمة عليه [1] " وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله " أى زاد على نسيان ربه بأن جعل شركاء ، واللام فى قوله : " ليضل عن سبيله " لام العاقبة ، أى لام التعليل المجازى فهى لام العاقبة والمآل لترتيب ما ذكر على هذا الجعل وهى مستعارة من لام التعليل الداخلة على الغرض استعيرت لما ذكر . " قل تمتع بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النار " استئناف بيانى لأن ذكر حالة الإنسان الكافر المعرض عن شكر ربه يثير وصفها سؤالاً عن عاقبة هذا الكافر ، كانت جملة " قل تمتع " صالحة للجواب عليه ففصلت عنها لما بينها من شبه كمال الاتصال .

****

٣٧- قال تعالى : " يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذابٌ شديد بما نسوا يوم الحساب " [2] .

استخلف الله داود على الملك وجعله خليفة ممن قبله من الأنبياء القائمين بالحق " فاحكم بين الناس بالحق " ، " بحكم الله " " ولا

---

[1] محى الدين زادة حـ٤ ص ١٩٤

[2] سورة ص ٢٦

تتبع الهوى " ما تهوى النفس وهو يؤيد ما قيل إن ذنبه المبادرة إلى تصديق المدعى وتظليم الآخر قبل مسألته .

" فيضلك عن سبيل الله " أى عن دلائله التى نصبها على الحق . " إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب " فصلت هذه الجملة عما قبلها لشبه كمال الاتصال حيث إن الجملة الأولى متضمنة لسؤال ، وصلحت الثانية لتكون جواباً عنه فصل بينهما لما بينهما من ربط معنوى ، والباء للسببية وما مصدرية وإضافة السبب بيانية ، والمراد بالنسيان الترك أو عدم الذكر مطلقاً لا الغفلة فيشمل الكفرة المنكرين للحشر ، فالمراد من النسيان الضلال بعلاقة السببية ، وقد قيل إن العدول إلى المجاز مع إمكان الحقيقة لا داعى له مع صحة أن يقال الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب بسبب نسيانهم الذى هو سبب ضلالهم وفى الكشاف يوم الحساب متعلق بنسوا أى بنسيانهم يوم الحساب فهو مفعول ، أو لقوله لهم أى لهم عذاب أليم يوم القيامة بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن سبيل الله [1] .

---

[1] الشهاب حـ٤ ص ٣٠٧ حاشية محى الدين زادة حـ٤ ص ١٨٢

الفصل الثانى
أسرار النظم البلاغى فى آيات الذكر

أولاً ذكر الله تعالى :

١- قال تعالى : " فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون "

" لابد من تقدير فى قوله " اذكرونى " لأن الذكر لا يتعلق بذات الله تعالى : قال وهو تقدير " من " دلالة الاقتضاء وأما " أذكركم " فهو مجاز أى أعاملكم معاملة من ليس بمغفول عنه قال وقوله : " ولا تكفرون " نهى عن الكفران بالنعمة .

وقال الآلوسى [٢] : " أذكركم " أى أجازيكم بالثواب وعبر عن ذلك بالذكر للمشاكلة ، " واشكروا لى " ، قدم الذكر على الشكر لأن فى الذكر اشتغالاً بذاته وفى الشكر اشتغالاً بنعمته والاشتغال بذاته أولى ، " ولا تكفرون " قال : وأردف الأمر بهذا

---

[١] البقرة ١٥٢

[٢] راجع التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور جـ٢ ص ٥٠ الدار التونسية للنشر

[٣] روح المعانى للإمام الآلوسى المجلد الثانى ص ٢٩ دار الفكر

النهى ليفيد عموم الأزمان ، وحذف ياء المتكلم تخفيفاً لتناسب الفواصل .

وقال أبوحيان الأندلسى فى البحر المحيط : سمى الثواب المترتب على " الذكر " ذكراً على سبيل المقابلة ، " واشكروا لى " [١] قال : فحذف المضاف إذ معنى الشكر ذكر اليد : وذكر مسديها معاً فما حذف من ذلك فهو اختصار لدلالة ما بقى على ما حذف " ولا تكفرون " ، قال : وهو على تقدير حذف مضاف أى ولا تكفروا نعمتى وهذه النون نون الوقاية وحذفت ياء المتكلم تخفيفاً لتناسب الفواصل .

قال وقيل معنى الشكر هنا الاعتراف بحق المنعم والثناء عليه ولذلك قابله بقوله [٢] " ولا تكفرون " .

وقال صاحب فتح البيان [٣] : فى قوله : " فاذكرونى أذكركم " أمر وجوابه وفيه معنى المجازاة وكذلك قال الدكتور محمد سيد طنطاوى [٤] وزاد " أذكركم " مستعمل فيه ترتيب على الذكر من

---

[١] قوله " واشكروا لى " ذكر بنصه فى كتاب الفتوح الإلهية لابن عمر الشافعى جـ١ ص ٢٣ ط/ دار احياء التراث العربى بيروت

[٢] البحر المحيط فى التفسير لأبى حيان الأندلسى الغرناطى جـ٢ ص ٦ / دار الفكر

[٣] فتح البيان فى مقاصد القرآن ل ١ / صديق حسن خان جـ١ ص ٢٥٢ ط/ دار الفكر العربى

[٤] التفسير الوسيط للقرآن الكريم د/ محمد سيد طنطاوى المجلد الأول ص ٢٠٣ / دار المعارف

انجار ... وقال - كما قال الآلوسى - فى قوله تعالى : " واشكروا لى ولا تكفرون " قدم سبحانه الأمر بالذكر على الأمر بالشكر لأن الذكر اشتغالاً بذاته وفى الشكر اشتغالاً بنعمته والاشتغال بذاته أولى ، وقوله : " ولا تكفرون " تأكيد لقوله : " واشكروا لى " وقال الحافظ بن كثير : " وشكروا لى ولا تكفرون " امر الله تعالى بشكره ، ووعد على شكره بمزيد الخير وقال الشيخ سيد قطب فى كتابه فى ظلال القرآن : والنهى عن الكفر هنا إلماح إلى الغاية التى ينتهى إليها التقصير فى الذكر والشكر ، وتحذير من النقطة البعيدة

التعقيب

الفاء حرف العطف لجملة الأمر على ما قبلها ، وهى تفيد الترتيب ، أى ترتيب الأمر على ما قبله وجملة الأمر وجوابه " اذكروني أذكركم " فيه تحريض وحث على ذكر الله تعالى بما يوجب الذكر من الجزاء ، والذكر هنا الطاعة قلباً وقالباً ، أما ذكر الله تعالى هنا فهو الجزاء على الطاعة بالثواب وبين الجملتين مشاكلة وأردف الأمر فى الجملتين بالنهى فى قوله تعالى : " ولا تكفرون " ليفيد عموم الأزمان (تفسير روح المعانى +٣الآلوسى ج٢ ص ٢٨٢ ..)

تفسير القرآن العظيم للحافظ بن كثير المجلد الأول ص ٢٨٢ طبعة / دار الشعب

ولا ناهية والفعل المضارع مجزوم بها وعلامة الجزم حذف حرف النون لأنه مسند إلى واو الجماعة ، وأما النون الموجودة فى الفعل فهى نون الوقاية التى تقع قبل ياء المتكلم إذا اتصلت بالفعل ، أما ياء المتكلم فمحذوفة تخفيفاً لتناسب الفواصل والأصل ، " ولا تكفرونى " وتأمل معى بديع صنع الله تعالى فى الترتيب بين جمل هذه الآية ، فالآية بها ثلاث جمل " جملة الأمر بالذكر وجوابها ، وجملة الأمر بالشكر وجملة النهى عن الكفران ، فبدأ الله تعالى بجملة الذكر ، لأنه أريد به الثناء والمدح العام وثنى بجملة الشكر ، لأنه ثناء على شئ خاص ،وقد اندرج تحت الأول ،فهو بمنزلة التوكيد،وختم بجملة النهى، لأنه يقتضى الامتناع عن المنهى عنه فى جميع الأزمان [1]

****

٢- قال الله تعالى " ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين " [2] .

---

[1] (البحر المحيط - أبو حيان بتصرف يسير ج٢ ص ٥٠) .

[2] البقرة الآية ١٩٨.

قال الإمام الطاهر قوله تعالى " واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين " الواو عاطفة ، والعطف يقتضى أن الذكر المأمور به هنا غير الذكر المأمور به فى قوله : فاذكروا الله عند المشعر الحرام ، فيكون هذا أمراً بالذكر على العموم بعد الأمر الخاص بذكر خاص فهو فى معنى التذييل بعد الأمر بالذكر الخاص ويجوز أن يكون المراد من الجملة هو قوله " كما هداكم " فموقعها موقع التذييل وكان مقتضى الظاهر ألا تعطف بل تفصل ، وعدل عن مقتضى الظاهر فعطفت بالواو باعتبار مغايرتها وقوله " كما هداكم " تشبيه الذكر بالهدى وما مصدرية .

وقال الزمخشرى فى قوله : " فإذا أفضتم " ، قد اشتملت الآية على كلمتين

أحدهما : عطف الإفاضتين إحداهما على الأخرى ومرجعهما واحد وهو الإفاضة المأمور بها فربما يتوهم متوهم أنه من باب عطف الشئ على نفسه فيزال هذا الوهم بان بينهما من التغاير ما بين العام والخاص والمخبر عنه أولاً الإفاضة من حيث هى غير مقيدة ، والمأمور به ثانياً الإفاضة مخصوصة بالمساواة الناس .

الثانية : بعد وضوح استقامة العطف كونه وقع بحرف " ثم " وذلك يستدعى التراخى مضافاً إلى التغاير باعتبار الزمان وقد يكون باعتبار علو المرتبة .

التعقيب :

قال ابن عباس : كان متجر الناس فى الجاهلية عكاظ ومجنة وذو المجاز فلما كان الإسلام كأنهم كرهوا ذلك حتى نزلت الآية (تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - ج٢٩٣/١ط / دار الفكر) قد يتوهم متوهم أن العطف بين " فإذا أفضتم من عرفات " وقوله تعالى " ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس " من باب عطف الشئ على نفسه ، ولكن يزول هذا الوهم بكلام الإمام الزمخشرى السابق بأن بينهما من التغاير ما بين العام والخاص ، أو أن المخبر عنه أولاً الإفاضة من حيث هى غير مقيدة ، والمأمور به ثانياً الإفاضة مخصوصة بالمساواة بالناس أو بما قاله الحافظ ابن كثير فى قوله تعالى " ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم " و " ثم " ههنا لعطف خبر على خبر وترتيبه عليه كأنه تعالى أمر الواقف بعرفات أن يدفع إلى المزدلفة ليذكر الله عند المشعر الحرام وأمره أن يكون وقوفه مع جمهور الناس بعرفات كما كان جمهور الناس يصنعون إلا قريشاً فإنهم لم يكونوا يخرجون من

١- فيقفون فى طرف الحرم عند أدنى الحل ويقولون نحن أهل الله فى بلدته وقطان بيته (ابن كثير ج١ ص ٢٤٢) .

وقال أبوحيان : هذا الأمر الثانى هو الأول وكرر على سبيل التوكيد والمبالغة وقال سيد قطب : نزلت الآية لإباحة البيع والشراء .

وسماها القرآن ابتغاء واتفقا القرطبى والقنوجى البخارى فيما نصه .

قال القرطبى قوله : " كما هداكم " وكرر الأمر على سبيل التأكيد ، وقيل الأول أمر بالذكر عند المشعر الحرام ، والثانى أمر بالذكر على سبيل الإخلاص .

****

٣- قال تعالى : " فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آبائكم أو أشد ذكرا فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا وما له فى الآخرة من خلاق .

قال الإمام الطاهر : قوله " فاذكروا الله " أعاد الأمر بالذكر بعد أن أمر به تحضيضاً عليه ، وقوله "كذكركم " إشارة إلى ما كانوا

(البقرة : ٢٠٠)

عليه من التفاخر والمراد به تشبيه ذكر الله بذكر آبائهم فى الكثرة والتكرار .

وقوله " أو أشد ذكرا " أصل " أو " أنها للتخيير ولما كان المعطوف بها أولى بمضمون الفعل العامل فى المعطوف عليه أفادت معنى التدرج إلى أعلى ، وشبه أولاً بذكر آبائهم تعريضاً بهم وكان الأجدر بهم أن يعوضوه فى ذكر الله لأنه حقيق بالذكر من آبائهم .

بينما رأى الآلوسى : أن قوله " أو أشد ذكرا " إما مجرور معطوف على الذكر بجعل الذكر ذاكراً على المجاز والمعنى - واذكروا الله ذكراً كذكركم آبائكم أو كذكر أشد منه وأبلغ - " فمن الناس من يقول ربنا " إلتفات من الخطاب إلى الغيبة : " ربنا آتنا فى الدنيا " إشارة إلى أن همته مقصورة على الدنيا " وما له فى الآخرة من خلاق " .

الجملة بيان لحال ذلك فى الدنيا فهى تصريح بما علم ضمناً من سابقه تأكيداً له وتقريراً .

ورأى أبوحيان : أن قوله " أو أشد ذكرا " أن يكون معطوفاً على موضوع الكاف فى ذكركم لأنها عنده نعت لمصدر ، أى ذكراً كذكركم أو أشد ، وجعلوا الذكر ذكراً على جهة المجاز كما قالوا

: ...اعر ، شعر" فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا" هذا من
الا...ات ولو جاء عن الخطاب لكان الكلام .
فمنكم من يقول ومنكم ، وحكمة الإلتفات أنهم ما وجهوا بهـــذا
الذى أن يسلكوا عاقل ، وهو الاقتصار على الدنيا .
فأبرز أنهم فى صور غير المخاطبين بذكر الله بأن جعلوا فى صـــورة
الغائبين ، وهذا من التقسيم الذى هو من جملة .
ضروب البيان ، وهو تقسيم بديع " وماله فى الآخرة من خـــلاق "
توكيد لاقتصاره على طلب الدنيا .

****

٤- قال تعالى : " واذكروا الله فى أيـام معـدودات فمـن تعجل فـى
يومين فلا إثم عليه ومـن تـأخر فـلا إثـم لمـن اتقـى واتقـوا الله
واعلموا أنكم إليه تحشرون " [1]

قال الأمام الطاهر دلت الآية على طلب ذكر الله تعالى - فى أيـــام
الجمار

فقوله " فمن تعجل فى يومين فلا إثم عليه " ظاهر المعـــنى يقتضـــى
حصوله ودفع الإثم عنه وإنما قولة " ومن تـأخر فـلا إثم عليـه "
يشكل بأن نفى الإثم تقتضى حصوله أو توهمه فدفع هذا التوهـــم ،

---

[1] (البقرة الآية : ٢٠٣)

وردت الآية للتوسعة فى الأمرين ، أو تجعل معنى نفى الإثم فيـــهما
كناية عن التخيير بين الأمرين " واعلموا أنكم إليـــه تحشـــرون "
تحريض على التقوى وقال أبو حيان : قوله : " واذكروا الله فى أيام
معدودات " الأمر بمطلق ذكر الله فى أيام معدودات . قوله " فمـــن
تعجل فى يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه " وفى هـــاتين
الجملتين الشرطيتين من علم البديع ، الطباق فى قوله فمن تعجـل /
ومن تأخر والطباق هو ذكر الشئ وضده .
وهو هنا طباق غريب ، لأنه ذكر (تعجل) مطابق (تـأخر) ، وفى
الحقيقة مطابق (تعجل) (تأنى) ومطابق (تأخر) (تقدم) فعـــبر
فى تعجل بالملزوم عن اللازم ، وعبر عن تأخر باللازم عن الملـــزوم
وفيها من علم البيان اللفظية ، إذ المتأخر أتى بزيادة فى العبادة فلـــه
زيادة فى الأجر ، وإنما أتى بقوله ، فلا إثم عليه ، مقابلاً لقولـــه : "
فمن تعجل فى يومين فلا إثم عليه " كقوله " فمن اعتدى عليكـــم
فاعتدوا عليه " .

****

٥- قال تعالى:" قال رب اجعل لى آية قال آيتك ألاّ تكلم الناس ثلاثة
أيام إلا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والابكار..... "[1]

---

[1] (آل عمران : الآية ٤١)

وقال صاحب الجدول [١] وصاحب إعراب القرآن الكريم وصدقه [٢]:
أن فى قوله تعالى : " رمزا " فن الإشارة وعرفه صاحب إعراب القرآن وصدقه فقال : " وهو التعبير باللفظ الظاهر عن المعنى الخفى [٣]
وقال صاحب البحر المحيط [٤]: فى قوله :" إلا رمزا " دلالة على أن الإشارة تنزل منزلة الكلام ومفعول " وسبح " محذوف للعلم به وأما على قراءة الجمهور " والإبكار " بكسر الهمزة فيكون قد قابل العشى فيحتاج إلى حذف أى بالعشى ووقت الإبكار ، والظاهر فى " بالعشى والإبكار " أن " ال " فيهما للعموم وقال قيل تضمنت هذه الآية من فنون الفصاحة أنواعاً : التكرار فى قوله : " ربه قال رب وفى آيتك والسؤال والجواب قال ربى اجعل لى آية : قال آيتك وقال صاحب التفسير المنير [٥] وصاحب صفوة

---

[١] الجدول فى اعراب القرآن لمحمود صافى الجزء الثانى جـ٣-٤ ص ١٧

[٢] إعراب القرآن الكريم وبيانه لمحى الدين الدرويش المجلد الأول ص ٥٠٦

[٣] ذاته ص ٥٠٢

[٤] البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى الغرناطى جـ٣ ص ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣

[٥] التفسير المنير / وهبة الزحيلى جـ٣ ص ٢١٧

التفاسير [١] أن بين كلمتى " بالعشى والإبكار " طباق وهو من المحسنات البديعية .
قال صاحب الكشاف [٢] وقاله كذلك صاحب التفسير الكبير [٣]:
فإذا قلت " الرمز " ليس من جنس الكلام فكيف استثنى منه " قلت " لما أدى مؤدى الكلام وفهم منه ما يفهم منه سمى كلاماً.
وقال صاحب روح المعانى : [٤] إنما استعجالاً للسرور [٥] قاله الحسن ، والجعل يجوز أن يكون متعلقاً بما عنده وتقديمه للاعتناء به والتشوق لما بعد ، قال ويحتمل أن يكون : قوله " قال آيتك ألا تكلم الناس " كناية عن الصيام - قال عطاء - وقال المصنف وهو خلاف الظاهر ومع هذا يتوقف قبوله على توفيق ، وإنما خص تكليم الناس للإشارة إلى أنه غير ممنوع من التكلم بذكر الله تعالى ، " واذكر ربك " قال والجملة مؤكدة لما قبلها مبينة للغرض منها ، " والإبكار " قال : وإنما قدر المضاف لأن الإبكار مصدر لا وقت

---

[١] صفوة التفاسير لمحمد على الصابونى المجلد الأول ص ١٨٢

[٢] الكشاف للزمخشرى جـ٢ ص ١٨٩

[٣] التفسير الكبير للفخر الرازى م ٤ جـ٨ ص ٤٥

[٤] روح المعانى للألوسى م٣ جـ٣ ص ٢٤٠ ، ٢٤٣

[٥] وقال صاحب التفسير القرآنى للقرآن - عبد الكريم الخطيب ق م١ ص ٤٤٢ قال رب اجعل لى آية وآيتها هو استعجال هذا الخير المنتظر والتماس البشريات التى تحدث به

فلا تحسن المقابلة و - أل - فى الوقتين للعموم كما قال بذلك صاحب البحر رحمه الله تعالى - وقال صاحب الفتوح الإلهية :[1] " والإبكار مصدر لأبكر لأن المعنى بكرت استعمل اسماً للوقت الذى هو البكرة .

****

٦- قال تعالى : " والذين إذا فعلوا فاحشةً أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ..... "[2]

قال صاحب روح المعانى[3] : الظلم : الذنب مطلقاً وذكره بعدها من ذكر العام بعد الخاص وقاله صاحب التفسير الوسيط[4] وقال أيضاً والاستفهام فى قوله " ومن يغفر الذنوب إلا الله " للإنكار والنفى " ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون " قال ومفعول " يعلمون " محذوف للعلم به أى يعلمون سوء فعلهم .

---

[1] الفتوح الإلهية لابن عمر الشافعى حـ١ ص ٦٩

[2] (آل عمران الآية: ١٣٥)

[3] روح المعانى للألوسى المجلد الثانى حـ٣ ص ٩٥

[4] التفسير الوسيط د / محمد السيد طنطاوى المجلد الثانى ص ٢٦٥ ، ٢٦٦

قال الفخر[1] : وندب فى هذه الآية إلى الإحسان إلى النفس فإن العاصى المذنب إذا تاب كانت تلك التوبة إحساناً منه إلى نفسه .

وقال صاحب الفتوح الإلهية[2] : " أو ظلموا أنفسهم " فيه اشارة إلى أنه انما صرح بذكر الفاحشة مع دخولها فى ظلم النفس وترك مقتضى الظاهر لأن المراد بها نوع من أنواع ظلم النفس .

قال صاحب الكشاف[3] : وفيه تطيب لنفوس العباد وتنشيط للتوبة وبعث عليها وردع عن اليأس والقنوط وذكره صاحب البحر المحيط[4] وزاد عليه قوله : وهذه الجملة الاعتراضية فيها ترقيق للنفوس وداعية إلى رجاء الله وسعة عفوه واختصاصه بغفران الذنب .

وقال صاحب التحرير والتنوير : والاستغفار طلب الغفران أى الستر للذنوب وهو مجاز فى عدم المؤاخذة على الذنب وجملة " ومن يغفر الذنوب إلا الله " معترضة بين جملة " فاستغفروا " وكملة " لم يصروا على ما فعلوا " والاستفهام مستعمل فى معنى النفى

---

[1] التفسير الكبير للفخر الرازى المجلد الخامس حـ٩ ص ٩

[2] الفتوح الإلهية لابن عمر الشافعى حـ١ ص ٣١٥ ، ٣١٦

[3] الكشاف للزمخشرى حـ١ ص ٢١٧

[4] البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى الغرناطى حـ٧ ص ٣٤٩

بقرينة الاستثناء منه والمقصود تشديد مبادرتهم إلى استغفار الله عقب الذنب والتعريض

بالمشركين "وهم يعلمون" قال وحذف مفعول يعلمون لظهوره من المقام أى يعلمون سوء فعلهم [1].

وقال صاحب فتح البيان : وفى الاستفهام بقوله " ومن يغفر الذنوب إلا الله " من الإنكار مع تضمنه من الدلالة على أنه المختص بذلك سبحانه دون غيره مالا يخفى أى لا يغفر جنس الذنوب أحد " إلا الله " وفيه ترغيب لطلب المغفرة من الله سبحانه وتنشيط للمذنبين أن يقفوا فى مواقف الخضوع والتذلل [2].

وقال صاحب التفسير القرآنى للقرآن [3]: وفى قوله تعالى " ومن يغفر الذنوب إلا الله " إغراء للعصاة والمذنبين بالتوبة والقبول إذا هم مدوا أيديهم وطلبوا الصفح والمغفرة منه " ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون " إشارة إلى ما تصح عليه توبة التائبين .

****

[1] التحرير والتنوير لسماحة الشيخ الطاهر بن عاشور جـ٤ ص ٩٢ ، ٩٣

[2] فتح البيان فى مقاصد القرآن لصديق حسن خان جـ٢ ص ١٣٣

[3] التفسير القرآنى لعبد الكريم الخطيب المجلد الأول ص ٥٨٨

٧- قال تعالى : " الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار " ..... [1]

فى هذه الآية خصائص بلاغية :

١- الطباق الذى جمع حالات الإنسان الثلاث فى الصلاة وهى القيام والقعود والإضطجاع على الجنب أو الاستلقاء .

٢- المجاز المرسل فقد ذكر السموات والأرض ومراده ما فيهما من أجرام عظيمة بديعة الصنع صالحة الاستغلال فى سبيل النفع الإنسانى والعلاقة المحلية .

٣- الإيجاز فى قوله " ويتفكرون فى خلق السموات والأرض " حيث انطوى تحت هذا الإيجاز كل ما تمخض عنه العلم من روائع المكتشفات وبدائع المستنبطات .

قال صاحب روح المعانى : والمراد من ذكر هذه الأحوال الإشارة إلى الدوام وانفهامه منها عرفاً مما لا شبهة فيه " ويتفكرون فى خلق السموات والأرض " قال وتقديم الذكر فى تلك الحالات على التفكير لما أن فيها الاعتراف العبودية .

---

[1] (آل عمران ١٩١)

" وبنا ما خلقت هذا باطلاً " والمراد بالذكر الصلوات وسماها ذكراً لاشتمالها على الذكر والعدول عن الضمير إلى اسم الإشارة إلى أنها مخلوقات عجيبة يجب أن يعتنى بكمال تميزها استعظاماً لها " سبحانك " مصدر منصوب بفعل محذوف والجملة معترضة لتقوية الكلام وتوكيده ولا ينافى ذلك كونها مؤكدة لنفى العبث عن خلقه قال بعضهم بهذا التأكيد ولم يقل بالاعتراض [1].

ويجوز أن الله تعالى أراد بذكر الآية عموم العبودية فى كل أحوال الإنسان .

وقال الفخر الرازى : فى قوله تعالى : " يذكرون الله " إشارة إلى عبودية اللسان وقوله " قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم " إشارة ال عبودية الجوارح والاعضاء وقوله ويتفكرون فى خلق السموات والارض إشارة إلى عبودية القلب والفكر والروح وهذه الآية دالة على كمال العبودية وقال : " هذا " فى قوله " ما خلقت هذا " كناية عن المخلوق يعنى ما خلقت هذا المخلوق العجيب باطلاً وفى كلمة " هذا " ضرب من التعظيم " سبحانك " هذا إقرار

---

[1] روح المعانى للآلوسى المجلد الثالث جـ٣ ص ٢٤٦ ، ٢٥١

بعجز العقول عن الإحاطة بأثار حكمة الله فى خلق السموات والأرض [1].

****

٨- قال تعالى : " واذكر ربك فى نفسك تضرعاً وخفية ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين [2]

قال صاحب التحرير والتنوير : والمناسبة فى هذا الانتقال أن أمر الناس باستماع القرآن يستلزم أمر الرسول عليه الصلاة والسلام بقراءة القرآن عليهم ، " التضرع " التذلل ولما كان التذلل يستلزم الخطاب بالصوت المرتفع فى عادة العرب كنى بالتضرع عن رفع الصوت مراداً به معناه الأصلى والكائن ، ولذلك قوبل بالخفية فى قوله : " ادعوا ربكم تضرعاً وخفية " فى أوائل هذه السورة ، وقوبل التضرع هنا بالخفية ، وقال : لما كانت الخفية انفعالاً نفسياً يجده الإنسان فى خاصة نفسه كانت مستلزمة للتخافت بالكلام خشية أن يشعر بالمرء من يخافه فلذلك كنى بها هذا عن الإسرار بالقول مع الخوف من الله فمقابلتها بالتضرع طباق فى معنيين

---

[1] التفسير الكبير للفخر الرازى المجلد الخامس جـ٩ ص ١٤٠ ، ١٤٣ ، ١٤٥

[2] (الأعراف الآية ٢٠٥)

اللفظين الصريحين ومعينهما الكائنين فكأنه قيل تضرعاً وإعلاناً وخيفة وإسراراً ، وقوله : " ودون الجهر من القول " : مقابل لكل من التضرع والخيفة ، وقال وقد تقدم أن نحو " ولا تكن من الغافلين " أشد من الانتفاء وفى النهى من نحو ولا تغفل [1] .

قال صاحب الكشاف [2] : " بالغدو والآصال " وقرئ الآصال من أصل إذا دخل فى الأصيل كأقصر وأعتم وهو مطابق للغدو .

وقال صاحب البحر المحيط : " واذكر " قال : قيل هو على حذف مضاف أى واذكر نعم ربك ، " بالغدو والآصال " والغدو قيل جمع غدوة فعلى هذا تظهر المقابلة لاسم جنس بجمع قال فالمراد " بأوقات الغدو " حتى يقابل زمان مجموع بزمان مجموع .

****

٩- قال تعالى : " يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون " [3]

---

[1] البحر والتنوير للطاهر بن عاشور جـ٩ ص ٢٤١ ، ٢٤٢

[2] الكشاف للزمخشرى جـ٢ ص ١٦١

[3] سورة الأنفال الآية ٤٥

قال الطاهر [1] : " افتتحت الآية بالنداء اهتماماً بها ، وقوله " فاثبتوا " الثبات لزوم المكان ويستفاد الفعل على الدوام وقد أطلقها على معناها المجازى .

قال الآلوسى [2] : " يا أيها الذين آمنوا " تصدير الخطاب بحرف النداء والتنبيه إظهار لكمال الاعتداد بمضمون ما بعدها " فاثبتوا " .

وقال الزمخشرى [3] : " واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون " وفيه اشعار بأن العبد لا يفتر عن ذكر ربه أشغل ما يكون قلبه ، وأكثر ما يكون هماً فى وقت الحرب .

قال القرطبى [4] : الآية تاكيد للثبات للآية التى قبلها الناهية عن الفرار .

قال السيد قطب [5] : " يا أيها " نداء لطلب الثبات أمام العدو . " اذكروا الله كثيراً " عند لقاء الأعداء فهو التوجيه الدائم للمؤمن ، وفى الوقت نفسه استحضار حقيقة المعركة وبواعثها وأهدافها فهى لرفع كلمة الله ولتقرير ألوهيته .

---

[1] التحرير والتنوير جـ١ ، ١١ ، ١٢ ص ٢٩ ، ٣٠

[2] روح المعانى جـ٧ / ص ١٩

[3] الكشاف جـ٢ ص ١٢٩

[4] الجامع لأحكام القرآن جـ٩ ، ١٠ ص ٢٣

[5] فى ظلال القرآن جـ٣ ص ١٥٢٨

١٠- قال تعالى : " وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقراً وإذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولّوا على أدبارهم نفوراً "

قال صاحب التحرير والتنوير : والتصريح بإعادة فعل الجعل يؤذن بأن هذا جعل آخر ، وتخصيص الذكر بالله فى القرآن لمناسبة الكلام على أحوال المشركين فى استماع القرآن ،أو لأن المقصود من القرآن الدعوة إلى الدين الجديد والتعليم فخلوا آياته عن الذكر الهتهم عن ذكر اسم الله يفهم منه التعريض بأنها ليست بآلهة فكونه فى القرآن هو القرينة على أنه أراد إنكار آلهتهم [٢].

وقال صاحب التفسير الوسيط : يؤكد أن المشركين كانوا طوائف متعددة بالنسبة لموقفهم من القرآن الكريم ومن النبى ﷺ وقوله سبحانه " وإذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولّوا على أدبارهم نفورا " بيان لرذيلة أخرى من رذائلهم المتعددة ، وقال إن هاتين الآيتين قد صورتا قبائح المشركين المتنوعة أبلغ تصوير [٣].

---

[١] (الإسراء الآية ٤٦)

[٢] التحرير والتنوير جـ١٥ ص ١١٧ ، ١١٩

[٣] التفسير الوسيط المجلد الثانى ص ٣٦٥

وقال صاحب التفسير القرآنى للقرآن : الآية بيان لهذا الحجاب المستور الذى جعله الله بين المشركين وبين النبى ﷺ وهو يقرأ القرآن ، وفى قوله " وإذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولّوا على أدبارهم نفوراً " إشارة إلى ما ركب المشركين من ضلال فى تصورهم لمقام الألوهية [١].

****

١١- قال تعالى: " وإذا رآك الذين كفرا إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذى يذكر ءالهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون " [٢].

قال صاحب روح المعانى [٣] " وصاحب الجدول [٤]: " أهذا الذى يذكر آلهتهم " الاستفهام للإنكار والتعجب ويفيد أن المراد بذكر ءالهتكم بسوء يكتفى بدلالة الحال عليه وتحاشوا عن التصريح أدباً مع ءالهتكم والإيجاز بالحذف فى قوله " أهذا يذكر ءالهتكم " حيث حذف مفعول يذكر .

---

[١] التفسير القرآنى للقرآن المجلد الرابع ص ٤٩٥

[٢] (الأنبياء ٣٦)

[٣] روح المعانى المجلد العاشر جـ١٧ ص ٧١

[٤] الجدول فى إعراب القرآن المجلد التاسع جـ١٧ ، ١٨ ص ٢٨

وقال صاحب التحرير والتنوير : ومعنى أتخاذه هزواً أنهم كانوا يجعلونه يستهزأ به فهذا من الأخبار بالمصدر للمبالغة، " أهذا الذى يذكر ءالهتكم " الاستفهام مستعمل فى التعجيب واسم الإشارة مستعمل فى التحقير بقرينه الاستهزاء ومعنى " يذكر ءالهتكم " يذكرهم بسوء بقرينه المقام " وهم بذكر الرحمن هم كافرون " قالى الذكر الثانى مستعمل فى الذكر بالثناء والتمجيد بقرينة المقام ، وعبر باسم " الرحمن " توريباً عليهم إذا كانوا يأبون أن يكون الرحمن اسماً لله تعالى ، وضمير الفصل فى قوله تعالى " هم كافرون " يجوز أن يفيد الحصر لإفادة أن هؤلاء باقون على كفرهم مع توفر الآيات والنذر ويجوز أن يكون الفصل لمجرد التأكيد تحقيقاً لدوام كفرهم مع ظهور ما شأنه أن يقلعهم عن الكفر [1].

قال أبو حيان : " إن يتخذونك إلا هزواً " كلام معترض بين " إذا " وجوابه ، وهذا استفهام فيه إنكار وتعجيب ، والذكر يكون بالخير والشر فإذا لم يذكر متعلقة فالقرينة تدل عليه [2].

[1] التحرير والتنوير جـ١٧ ص ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧

[2] البحر المحيط ص ٤٣٠

وقال الفخر الرازى : ويحتمل أن يراد بذكر الله " بذكر الرحمن " القرآن والكتب ، والمعنى فى إعادتهم أن الأولى إشارة إلى القوم الذين كانوا يفعلون ذلك الفعل ، والثانية إبانة لاختصاصهم به وأيضاً فإن فى إعادتها تأكيداً وتعظيماً لفعلهم ، وقال : والذكر

******** **********

يكون بخير وبخلافه فإذا دلت الحال على أحدهم أطلق ولم يقيد " .

١٢- قال تعالى : " إلا الذين ءامنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون " .. [2]

قال الزمخشرى : ختم السورة بآية لائقة بما لا شئ أهيب منه وأهول ولا أنكس لقلوب المتأملين ولا أصدع لأكباد المتدبرين وذلك قوله " وسيعلم " وما فيه من الوعيد البليغ وقوله الذين ظلموا ، وإطلاقه وقوله ، أى منقلب ينقلبون ، وإبهامه ، وتفسير الظلم بالكفر تعليل ولأن تخاف فتبلغ الأمن خير من أن تأمن فتبلغ الخوف [3].

[1] التفسير الكبير المجلد الحادى عشر جـ٢٢ ص ١٧٠

[2] (الشعراء الآية ٢٢٧)

[3] الكشاف جـ٣ ص ١٣١

وقال الآلوسى : " إلا الذين أمنوا " قال ولعله من باب الاقتصار على بعض ما يدل عليه النظر فقد جاء عنه فى بعض الروايات ما يشعر بالعموم ، " وسيعلم الذين ظلموا أى ينقلب ينقلبون " تهديد شديد ووعيد أعد لما فيه " سيعلم " من تهويل متعلقة وفى " الذين ظلموا " من الإطلاق والتعميم [1] .

وقال الفخر الرازى : " وسيعلم الذين ظلموا أى ينقلب ينقلبون " ختم السورة بهذا التهديد العظيم يعنى إن الذين ظلموا أنفسهم ، وأعرضوا عن تدبر هذه الآيات والتأمل فى هذه البيانات فإنهم " سيعلمون " بعد ذلك " أى منقلب ينقلبون " قال : وقال الجمهور المراد منه الزجر .

وقال صاحب البحر المحيط : لما ذكر " وانتصروا من بعد ما ظلموا " توعد الظالمين هذا التوعد الحائل الصادع للإكباد .

١٣ – قال تعالى : " لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا " [2]

---

[1] روح المعانى المجلد الحادى عشر جـ ٢١ ص ٢٢٢

[2] سورة الأحزاب الآية ٢١

قال صاحب روح المعانى : " لقد كان لكم فى رسول الله أسوه حسنه " وفى الكلام صيغة التجريد وهو أن ينتزع من ذى صفه أخر مثله فيها مبالغة فى الاتصاف ، " لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر " أى يؤمل الله تعالى ثوابه كما يرمز إليه ، أثر عن ابن عباس رضي الله عنه وعلية يكون قد وضح " اليوم الآخر " بمعنى يوم القيامة موضع الثواب لأن ثوابه تعالى يقع فيه فهو كما يقول الطيبى من إطلاق اسم المحل على الحال وعن المقاتل أى يخشى الله تعالى ويخشى البعث الذى فيه جزاء الأعمال على أنه وضع اليوم الأخر موضع البعث لأنه يكون فيه وقدر يعضهم المضاف إلى الاسم الجليل لفظ أيام مراداً بها الوقائع فإن اليوم يطلق على ما يقع فيه من الحروب والحوادث أشتهر فى هذا حتى صار بمنزلة الحقيقة جعل قرينه هذا التقدير المعطوف وجعل العطف من عطف الخاص على العام وأعيد العامل للتأكيد وهو بدل كل من كل والفائدة فيه الحث على التأسى [1] .

---

[1] روح المعانى المجلد الثانى عشر جـ ٢١ ص ٢٥٣ ، ٢٥٤

وقال صاحب التحرير والتنوير [1]: فالكلام خبر ولكن اقترانه بحرف التوكيد " لقد " يومئ إلى تعريض بالتوبيخ للذين لم ينتفعوا بالأسوة الحسنه من المنافقين والذين فى قلوبهم مرض ولذلك أتى للضمير مجملاً إبتداءاً من قوله : " لكم " ثم فصل بالبدل منه بقوله : " لمن كان يرجو الله واليوم الأخر وذكر الله كثيراً " فاللام فى قوله : " لمن كان يرجوا الله " توكيد اللام التى فى المبدل منه ، قلل وحق الأسوة أن يكون المؤتسى به هو القدوة بذلك فحرف " فى " جاء على أسلوب ما يسمى بالتجريد المفيد للمبالغة إذا يجرد من الموصوف بصفة موصوف مثله ، " لمن كان يرجو الله " قال : وفى إعادة اللام فى البدل تكثير للمعانى المذكورة بكثرة الاحتمالات .

وقال صاحب الكشاف: " لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر " ، والرجاء بمعنى الأمل والخوف [2].

وجمع الله تعالى بين الرجاء والإكثار من ذكره ، لأن التأسى التام بالرسول ﷺ لا يتم إلا بهما .

---

[1] التحرير والتنوير جـ٢١ ص ٣٠٢ ، ٣٠٣

[2] الكشاف جـ٣ ص ٢٣٢

١٤-قال تعالى: "ياأيها الذين أمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا" [1]

قال الأمام الطاهر بن عاشور [2]: الآية إقبال على مخاطبة المؤمنين ليشغلوا ألسنتهم بذكر الله -سبحانه وتعالى .

قال عبد الكريم الخطيب [3]: الآية إغراء للمؤمنين بذكر الله فى كل الأحوال .

قال القرطبى [4]: الآية أمر من الله تعالى لعباده بأن يذكروه ويشكروه .

********** **********

١٥- قال تعالى : " فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون " [5]

---

[1] (سورة الأحزاب آية ٤١)

[2] التحرير والتنوير جـ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ص ٤٧

[3] التفسير القرآنى للقرآن م ٦ جـ ٢١ ، ٢٦ ص ٧٢٨

[4] الجامع لأحكام القرآن جـ١٣ ، ١٤ ص ١٩٧

[5] (سورة الجمعة الآية ١٠)

قال الطاهر بن عاشور [1]: " وابتغوا " للإباحة . " واذكروا الله كثيرا " للاحتراس من الانصباب فى أمور الدنيا .

قال أبو السعود [2]: " وابتغوا من فضل الله " فالأمر للإطلاق بعد الحظر .

قال طنطاوى [3]: " واذكروا الله لعلكم تفلحون " تحذير من الانتشار فى الأرض للمصالح الدنيوية دون أن يعطوا الله حقه .

***** ********* ******

١٦- قال تعالى : " واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلاً " [4]

قال الطاهر [5]: قوله " تبتل " للمطاوعة المجازية يقصد من صيغتها المبالغة فى حصول الفعل ، والتبتل الانقطاع ، وهو انقطاع مجازى واتفق الصابونى [1] مع الزحيلى [2]: " ورتل القرآن ترتيلاً " ، " وتبتل إليه تبتيلاً " تأكيد الفعل بالمصدر زيادة فى الإيضاح والبيان .

---

[1] التحرير والتنوير جـ٢٧ ، ٢٨ ص ٢٢٦

[2] تفسير أبو السعود م ٥ ص ٧٢٤

[3] التفسير الوسيط م ١٤ ص ٣٨٩

[4] (سورة المزمل الآية ٨)

[5] التحرير والتنوير جـ٢٩ ص ٢٦٥

قال الآلوسى [3]: " واذكر اسم ربك " دم على ذكره ، والمراد الدوام العرفى لا الحقيقى لعدم إمكانه ، ولأن مقتضى السياق أن هذا تعميم بعد التخصيص .

" تبتيلاً " جاء بها مراعاة للفواصل .

واتفق الزمخشرى [4] وأبو السعود [5] وأبو حيان [6] : " تبتلاً " حيث جاءت مكان نتبتيلاً " مراعاة للفواصل .

***** ********* ******

١٧- قال تعالى : " فمن شاء ذكره * وما يذكرون إلا أن يشاء الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة" [7]

قال صاحب التحرير والتنوير :

---

[1] صفوة التفسير م ٣ ص ٤٧٠

[2] التفسير المنير جـ٢٩ ، ٣٠ ص ١٩٤

[3] روح المعانى م ١٦ ص ١٨٣

[4] الكشاف جـ٤ ص ١٥٣

[5] تفسير أبو السعود م ٥ ص ٧٨٤

[6] البحر المحيط جـ١٠ ص ٣١٦

[7] (سورة المدثر الآية ٥٥ ، ٥٦)

" فمن شاء ذكره " وهذا تعريض بالترغيب فى التذكر أى التذكر على حسب مشيتكم فإن شئتم فتذكروا .

وجملة " وما تذكرون إلا أن يشاء الله " معترضة فى أخر الكلام لافادة تعلمهم بهذه الحقيقة والواو أعتراضية .

وقال صاحب التفسير الوسيط :

وقوله تعالى : " فمن شاء ذكره " تقريع عن كون القرآن تذكره وعظه لمن كان له قلب يفقه أو عقل يعقل ، والتعبير به يشعر بأن تذكرة القرآن وحفظة والعمل بأحكامه وارشاداته فى إمكان كل من كان عنده الاستعداد لذلك .

" وما يشاؤن إلا أن يشاء الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة " فالمقصود من الآية بيان أن هذا التذكر لمواعظ القرآن لا يتم إلا بعد إرادة الله تعالى ومشيئة " [1]

وقال الفخر الرازى [2] : وصاحب فتح البيان [3] وتخصيص المشيئة بالمشيئة القهرية " اوالقصرية " ترك للظاهر وقال صاحب الفتوح الإلهية :

---

[1] التحرير والتنوير جـ٢٩ ص ٣٣٢

[2] التفسير الوسيط المجلد الخامس ص ١٩٢ ، ١٩٣

[3] التفسير الكبير المجلد الخامس ص ٢١٣

١٨- قال تعالى : " واذكر اسم ربك بكرة وأصيلاً " [1]

قال الطاهر [2] : قوله " اذكر " أمر للإرشاد أى أقبل والأمر هنا مستعمل فى مطلق الطلب .

قال الآلوسى [3] : والآية داوم على ذكره فى جميع الأوقات .

قال الزمخشرى [4] : الآية داوم على صلاة الفجر والعصر .

واتفق الصابونى [5] : مع الزحيلى [6] فى " بكرة .. وأصيلاً " بينهما طباق .

********** *********

١٩- قال تعالى : " فمن شاء ذكره " .. [7]

---

[1] (سورة الإنسان الآية ٢٥)

[2] التحرير والتنوير جـ٢٩ ص ٤٠٥

[3] روح المعانى م ١٦ ص ٢٨٥

[4] الكشاف جـ٤ ص ١٧٦

[5] صفوة التفاسير جـ٤ ص ٤٩٧

[6] التفسير المنير جـ٢٩ ، ٣٠ ص ٣٠٢

[7] (سورة عبس الآية ١٢)

قال صاحب التحرير والتنوير :

والذى يقتضى الإتيان بالضمير وكونه ضمير مذكر مراعاة للفواصل وهى " تذكرة " " مطهرة " سفرة " بررة " وقوله " فى صحف " وفى قوله " فمن شاء ذكره " تعريضاً بأن موعظة القرآن نافعة لكل أحد تجرد عن العناد والمكابرة [1].

قال صاحب البحر المحيط :

هى جملة معترضة تتضمن الوعد والوعيد [2].

قال صاحب التفسير الوسيط :

الجملة الكريمة تهديد الذين يعرضون عن العظة وليست للتخيير كما يتبادر من فعل المشيئة وهى معترضة للترغيب فى حفظ هذه الآيات وفى العمل بما اشتملت علية من هدايات [3].

ثانيا ذكر نعمة الله تعالى :

٢٠-قال تعالى : " يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وافوا بعهدى أوفى بعهدكم وإياى فارهبون " [1].

---

[1] التحرير والتنوير حـ٣ ص ١١٦

[2] البحر المحيط حـ١٠ ص ٤٠٤

[3] التفسير الوسيط المجلد الخامس عشر ص ٢٨٥

قال الشيخ الطاهر بن عاشور [2]: وجه الخطاب هنا الى بنى إسرائيل وجاء الوفاء بالغرض على أبدع الأساليب البلاغية إذ افتتحت السورة بالتنويه بشأن الكتاب وهو القرآن ، وبالتحذير من سوء من يعرض عن هديه [3].

فقوله [4]"يا بنى إسرائيل " خطاب لنبيه يعقوب وهو يشمل الأمة اليهودية "اذكروا " [5] أمر بالذكر ولذلك قيل كيف يذكره من ليس ينساه " نعمتى " جميع أنواع النعم وهذا العموم مستفاد من إضافة نعمة إلى ضمير الله تعالى ، وقد تعين [6] قصد العموم لأن المقام للامتنان والدعوة إلى الإسلام فيناسبه ذلك وهو تكثير النعم وقوله " وافوا بعهدى " هو فعل أمر من " وفى " المجرد .

---

[1] (سورة البقرة الآية ٤٠)

[2] التحرير والتنوير ص / الدار التونسية للنشر

[3] حـ١ ص ٤٤٧

[4] حـ١ ص ٤٤٩

[5] حـ١ ص ٤٥١

[6] حـ١ ص ٤٥٢

وقد أطلق الوفاء على العهد والوعد إطلاقاً شائعاً صيره حقيقة [1] و" يد هنا الإلتزام للغير بمعاملة (واستعير العهد المضاف الى ضمير الجلالة لقبول ما يكلفهم به من الدين ، واستعمل مجازاً لقبول التكاليف والدخول فى الدين ، واستعير المضاف إلى ضمير المخاطبين للوعد فى ذلك بالثواب والنصر فى الدنيا ، فلك أن تجعل كل عهد مجازاً استعمل العهد الأول فى التكاليف واستعمل العهد الثانى فى الوعد بالثواب والنصر ، واستعمل الإيفاء مع كليهما فى تحقيق ما التزم به كلا الجانبين مستعاراً من ملائم المشبه به إلى ملائم المشبه ليفيد ترشيحاً لاستعارته، ولك أن تجعل المجموع استعارة تمثلية ، بأن شبهة الهيئة الحاصلة من قولهم لما أمرهم الله به ، وأن لا يقصروا فى العمل ومن وعد الله إياهم بالثواب بهيئة المتعاهدين على التزام كل منهما بعمل للأخر ووفائه بعهدة فى عدم الإخلال به فاستعير لهذه الهيئة الكلام المشتمل على قوله " وافوا بعهدى أوف بعهدكم " وهذا أحسن لتقريب المشاكلة .

[1] جـ١ ص ٤٥٣

قوله [1] : " وإياي فارهبون " عطفت على الجملة السابقة وهى أصل طريقة المنشئين أن يراعوا الترتيب الخارجى فى الخبر والإنشاء ولم يطرأ عليه تغير طبيعى ، فهو تتميم لذلك الأمر السابق بالنهى عما يحول بينهم وبين الإيفاء بالعهد على وجهه ، فتقديم المفعول هنا للاختصاص ليحصل من الجملة إثبات ونفى ، واختير من طرق القصر طريق التقديم دون ما وإلا ليكون الحاصل بالمنطوق مع اشتغال فعله آكد فى إفادة التخصيص من " إياك نعبد " [2] أى أن إفادة الاختصاص أقوى ، هذا والتقديم إذا اقترن بالفاء كان فيه مبالغة أكثر .

ونقل عن صاحب الكشاف أنه قال [3] : إن فى قوله تعالى : " وإياى فارهبون " وجوها من التأكيد : تقديم الضمير المنفصل وتأخير المتصل ، والفاء الموجبة معطوفاً علية ومعطوفاً تقديره إياى ارهبون فارهبون أحدهم مقدر والثانى مظهر ، وما فى ذلك من تكرار الرهبة ، وما فيه من معنى الشرط بدلاله الفاء كأنه قيل إن كنتم

[1] الكشاف للزمخشرى جـ١ ص ٤٥٤
[2] الكشاف للزمخشرى جـ١ ص ٤٥٤
[3] الكشاف للزمخشرى جـ١ ص ٤٥٥

راهبين شيئا فارهبون ، يريد أن فى تقديم الضمير إفادة التخصيص والتخصيص آكد .

قال صاحب المفتاح : ليس الحصر والتخصيص إلا التأكيد على تأكيد وأما تأخير الضمير المنفصل فلما فى إعادة الإسناد من التقوى .

أما عن صاحب تفسير أبى السعود [1] فقال فى هذه الآية : " يا بنى إسرائيل " تلوين للخطاب وتوجيه إلى طائفة خاصة من الكفرة المعاصرين للنبى ﷺ لتذكيرهم بفنون النعم الفائضة عليهم [2] .

قوله [3] : " اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم " وإضافة النعمة إلى ضمير الجلالة لتشريفها وإيجاب تخصيص شكرها به تعالى .

قوله : " أوف بعهدكم " قرئ بالتشديد للمبالغة والتأكيد .

قوله : " وإياى فارهبون " وهو آكد فى إفادة التخصيص من " إياك نعبد " [4] لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة

---

[1] تفسير أبو السعود طـ / دار الفكر

[2] تفسير أبو السعود م١ ص ١١٥

[3] م١ ص ١١٦

[4] م١ ص ١١٧

على تضمن الكلام معنى الشرط ، كأنه قيل إن كنتم راهبين شيئاً فارهبونى والرهبة خوف معه تحرز وإلا متضمنة للوعد والوعيد ودالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد .

وقال ابن كثير : " وإياى فارهبون " انتقال من الترغيب إلى الترهيب [1] .

وقال الأمام محمد الرازى فخر الدين [2] : " يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم " واعلم أنه سبحانه – ذكرهم بتلك النعم على سبيل الإجمال .

****

٢١- قال تعالى : "يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين " [3] .

قال الأمام الطاهر [1] : أعيد خطاب بنى إسرائيل بطريق النداء مما تلا لما وقع فى خطابهم الأول بقصد التكرار للاهتمام ، فالأول قصد

---

[1] صاحب تفسير القرآن العظيم طـ / الشعب جـ١ ص ١١٨

[2] الإمام محمد الرازى فخر الدين صاحب التفسير الكبير م٣ جـ٣ ، ٤ ص ٣٠ طـ / الفكر (البقرة من الآية ٤٧)

منه تذكيرهم وإمتثالهم لما يرد إليهم من أمر ونهى ، غير أنه لما كان الغرض المقصود من تلك هو الامتثال كان حق البلاغة أن يفضى البليغ إلى المقصود ولا يطيل فى المقدمة ولكن البلغاء يعدون ذلك من نباهة البليغ .

وذكر صاحب تفسير أبى السعود [٢]: أنه سبحانه وتعالى كرر التذكير ، لربط ما بعده من الوعيد الشديد به وقوله : " وأنى فضلتكم " عطف على نعمته،عطف على العام لكماله .

وقال أبو حيان الأندلسى [٣]: وأعيد نداؤهم فى الآية ثانياً عن طريق التوكيد ، ولينبهوا على سماع ما يرد إليهم من تعداد النعم وتفصيلها نعمة بعد نعمه فالنداء الأول للتنبيه على طاعة المنعم ،والنداء الثانى للتنبيه على الشكر للنعمة .

وقال الإمام الفخر [٤]: أعلم أنه سبحانه إنما أعاد هذا الكلام مرة أخرى توكيداً للحجة عليهم وتحذيراً من ترك إتباع محمد ﷺ .

---

[١] صاحب التحرير والتنوير جـ١ ص ٤٨٢

[٢] تفسير أبو السعود م١ ص ١٢١

[٣] صاحب البحر المحيط جـ١ ص ٣٠٥

[٤] صاحب التفسير الكبير م٢ جـ٣ ، ٤ ص ٥٥

٢٢- قال تعالى : " يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين " . [١]

قال الإمام الطاهر [٢]: أعيد نداء بنى إسرائيل وهو نداء للتنبيه والإنذار والتذكير على طريقة التكرير فى الغرض الذى سبق الكلام الماضى لأجله ، فإنه ابتدأ نداءهم أولاً بمثل هذه الموعظة ابتداء فى التذكير ، وأعيدت بنفس الألفاظ التى ذكرت بها للتنبيه على نكتة التكرير للتحذير .

وقال أبو السعود [٣]: " وأنى فضلتكم على العالمين " أفردت هذه النعمة بالذكر مع كونها مندرجة تحت النعمة السالفة لأناقتها بين صنوف النغم .

وقال الآلوسى [٤]: تكرير لتذكير بنى إسرائيل وإعادة لتحذيرهم للمبالغة فى النصح ، وقيل أمر للقيام بحقوق النعم السابقة ونعمة التفضيل .

---

[١] (سورة البقرة الآية : ١٢٢) .

[٢] التحرير والتنوير جـ١ ص ٦٩٧

[٣] تفسير أبو السعود م١ ص ١٨٣

[٤] روح المعانى م١ ص ١٨٣

٢٢ - قال تعالى : " واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون "[1]

قوله تعالى : " واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا " .

قال الإمام الطاهر[2] : الكلام تمثيل لهيئة اجتماعهم والتفافهم على دين الله وعهوده لهيئة استمساك جماعة بحبل ألقى إليهم من منقذ لهم من غرق أو سقوط ، وإضافة الحبل إلى الله قرينة هذا التمثيل ، وقوله " جميعاً " حال وهو الذى رجح إرادة التمثيل / إذ ليس المقصود من الكلام أمر كل مسلم بالاعتصام فى حال انفراده ، بل المقصود الأمر باعتصام الأمة كلها ، ويحصل فى ضمن ذلك أمر واجد بالتمسك بهذا الدين ، فالكلام أمر لهم أن يكونوا على تلك الهيئة ، وهذا هو الوجه المناسب لتمام البلاغة لكثرة ما فيه من المعانى ويجوز أن يستعار الاعتصام للتوثيق بالدين وعهوده ، وعدم الانفصال عنه ، ويستعار الحبل للدين والعهود كقوله " إلا بحبل

---

[1] (آل عمران : ١٠٣)

[2] التحرير والتنوير جـ ٣ ، ٤ ، ص ٣١ ، ٣٢

من الله ، وبحبل من الناس " ويكون كل من الاستعارتين ترشيحاً للأخرى ، لأن مبنى الترشيح على تقوية التشبيه فى نفس السامع ؛ وذلك يحصل له بمجرد سماع لفظ ما هو ملائمات الاستعارة ، بقطع النظر عن كون ذلك الملائم معتبرة فيه استعارة أخرى ، إذ لا يزيده ذلك الاعتبار إلا قوة ، وليست الاستعارة بوضع اللفظ فى معنى جديد وإنما هى اعتبارات لطيفة تزيد كثرتها اللفظ حسناً . وقريب من هذه التورية فإن فيها حسناً بإبهام أحد المعنيين مع إرادة الآخر . ويصير قوله " جميعاً " محتملاً لتأكيد العموم المستفاد من واو الجماعة . قوله : " ولا تفرقوا " تأكيد لمضمون الجملة أى : اعتصموا جميعاً على الوجه الأول ، وعلى الوجه الثانى قوله " ولا تفرقوا " أمراً ثانياً للدلالة على طلب الاتحاد فى الدين ومن المعلوم أن الشئ يؤكد بنفى ضده .

قوله [1] " وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها " عطف على " كنتم أعداء " فأدى أن شفا الحفرة من النار هنا تمثيل لحالهم فى الجاهلية حين كانوا على وشك الهلاك والتفانى الذى عبر عنه زهير بقوله " تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم " .

---

[1] التحرير والتنوير جـ ٣ ، ٤ ص ٣٥

بحال قوم أخذهم للمشى الى شفا حفير من النار كالأخدود فليس بينهم وبين الهلاك التام إلا خطوة قصيرة ، واختيار الحالة المشبهةبه لأن النار أشد المهلكات وهذا هو المناسب ليكون الامتنان بنعمتين محسوستين : نعمة الأخوة بعد العداوة والسلامة بعد الخطر .

وقال جمهور المفسرين : أراد نار جهنم وعلى قولهم هذا يكون قوله " شفا حفرة " مستعارة للاقتراب استعارة المحسوس للمعقول ولكن ذلكم رؤيا جاءت على وجه التمثيل .

قال أبو السعود [1] : " واعتصموا بحبل الله " أما تمثيل للحالة الحاصلة من استظهارهم به ووثوقهم بحمايته بالحالة الحاصلة من تمسك المتدلى من مكان رفيع بحبل وثيق مأمون الانقطاع من غير اعتبار المجاز فى المفردات ، وأما استعارة الحبل لما ذكر من الدين أو الكتاب والاعتصام ترشيح لها مستعار للوثوق به والاعتماد عليه .

قوله " كذلك " إشارة إلى مصدر الفعل وما فيه من البعد للإيذان بعلو درجة المشار إليه وبعد منزلته من الفخامة .

[1] تفسير أبو السعود م١ أ) ص ٣٩٤ ب) ص ٣٩٥

قال أبو حيان [1] : " واعتصموا بحبل الله جميعاً " يحتمل أن يكون من باب التمثيل ، مثل استظهاره به ووثوقه بإمساك المتدلى من مكان مرتفع بحبل وثيق مأمون الانقطاع ويحتمل أن يكون من باب الاستعارة حيث استعار الحبل للعهد والاعتصام للوثوق بالعهد .

وقيل [2] : شبه تعالى كفرهم الذى كانوا عليه بالشفا ، لأنهم كانوا يسقطون فى جهنم دأباً ، فأنقذهم الله بالإسلام .

" لعلكم تهتدون " قال ابن عطية : وقوله " لعلكم تهتدون " فى حق البشر . والزمخشرى جعل الترجى مجازاً عن إرادة الله زيادة الهدى ، وابن عطية أبقى الترجى على حقيقته ، ولكنه جعل ذلك بالنسبة إلى البشر لا إلى الله تعالى ، إذ يستحيل الترجى من الله تعالى ، وفى كلا القولين مجاز .

" أنقذكم منها " [3] قال ابن المنير : وعود الضمير إلى حفرة أما لأنها التى يمتن بالإنقاذ منها حقيقة وإما الامتنان بالإنقاذ من الشفا غالباً

[1] البحر المحيط م٣ ص ٢٨٦

[2] البحر المحيط م٤ أ) ص ٢٨٨ ب) ص ٢٨٩

[3] روح المعانى م٣ ص ٣٢

الهوى إلى الحفرة فيكون الإنقاذ من الشفا إنقاذاً من الحفرة الـــتى يتوقع الهوى فيها فإضافة المنة إلى الإنقاذ من الحفرة أبلغ وأوقع .

قال الآلوسى [1]: " واعتصموا بحبل الله جميعاً " وفى الكلام اســتعارة تمثيلية بأن شبهت الحالة الحاصلة من تمسك المؤمنين بأحد ما ذكــر ووثوقهم بحمايته بالحالة الحاصلة من تمسك المتدلى من مكان رفيــع بحبل وثيق مأمون الانقطاع من غير اعتبار مجــاز فى المفــردات ، واستعير ما يستعمل فى المشبه به من ألفاظ للمشبه وقد يكــون فى الكلام استعارتان مترادفتان ، بأن يستعار الحبل للعهد مثلاً استعارة مصرحة أصلية والقرينة الإضافة ويستعار الاعتصام للوثوق بالعــهد والتمسك به على طريــق الاســتعارة المشــبهةوالقرينة اقترانهــا بالاستعارة الثانية ، وقد يكون مجازاً بمرتبتين لأجل ارســال المجــاز وقد تكون الاستعارة فى الحبل فقط ويكون الاعتصام باقياً علــى معناه ترشيحاً لها على أتم وجه ، والقرينة قد تختلــف بــالتصرف باعتبار أخر قد لا تكون ، فلا يراد أن احتمال المجازية يتوقف علــى قرينة [2] مانعة من إرادة الوضع لها بجمع وجودها كيف يتأتى إرادة

---

[1] روح المعانى م٣ ص ٣٠

[2] روح المعانى م٣ ص ٣٠

الحقيقة ليصح الأمران فى " اعتصموا " قال الطيبى : وقد تكــون الاستعارتان غير مستقلتين بأن تكون الاستعارة فى الحبل مكنية وفى الاعتصام تخيلية ، ولأن المكنية مستلزمة للتخيلية .

قال الزمخشرى [1]: " واعتصموا بحبل الله جميعاً " قولهم اعتصمــت بحبله يجوز أن يكون تمثيلاً لاستظهاره به ووثوقه بحمايته باستمســاك المتدلى من مكان مرتفع بحبل وثيق يأمن انقطاعه وأن يكون استعارة لعهده والاعتصام لوثوقه بالعهد أو ترشيحاً لاستعارة الحبــل بمــا يناسبه والمعنى اجتمعوا على استعانتكم بالله ووثوقكم ولا تفرقــوا عنه أو واجتمعوا على التمسك بعهده إلى عبادة .

" فأنقذكم منها " فإنما قلت كيف جعله على حرف حفرة من النــار " قلت " لو ماتوا على ما كانوا عليه وقعوا فى النار فمثلت حيــلقهم التى يتوقع بعدها الوقوع فى النار بالقعود على حرفها مشرفين على الوقوع فيها .

قوله " وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها " .

قال أحمد ويجوز عود الضمير إلى الحفرة فــلا يحتــاج إلى تأويلــه المذكور كما نتقول أكرمت غلام هند وأحسنت أليها ، والمعــنى

---

[1] الكشاف جـ١ (أ) ص ٢٠٦ (ب) ص ٢٠٧

على قعوده على الحفرة أتم لأنها التى يمتن فيها بالإنقاذ حقيقة ، ومـل يحتمل الزمخشرى على إعادة الضمير إلى الشفا إلى أنه هـو الـذى كانوا عليه ولم يكونوا فى الحفرة حتى يمتن عليهم بالإنقاذ منـها وإن ما سوغ الامتنان عليهم بالإنقاذ من الحفرة لأنهم كـانوا سـائرين إليها غالباً لولا الإنقاذ الربانى .

قال ابن عمر [1] : " واعتصموا بحبل الله " استعار له الحبل من حيث التمسك به سبب للنجاة عن التردى ، والاعتصام للوثـوق بـه والاعتماد عليه ترشيحاً للمجاز وظاهر هذا أن الاستعارة فى الآيـة يجوز أن يكون استعارتين استعارة الحبل للدين أو الكتاب فتكـون استعارة مصرحة تبعية تحقيقية والقرينة إضافتـها إلى الله تعـالى ، واستعارة الاعتصام للوثوق به والتمسك بـه فتكـون اسـتعارة مصرحة تبعية تحقيقية والقرينة اقترانها بتلك الاستعارة .

وقوله " جميعاً " حال من الواو تأكيد لهم وقوله " فـأصبحتم " فى الكلام تشبيه أى كان حالكم كحال من مر على طـرف حفـرة فتهيأ للسقوط فيها .

---

[1] المقترحات الإلهية حـ١ ص ٣٠١

قال طنطاوى [1] : قوله " واعتصموا بحبل الله جميعـاً ولا تفرقـوا " فهذه الآية الكريمة تأكيد لما اشتملت عليه سابقتها .

ففى الجملة الكريمة استعارة تمثيلية حيث شبه ـ سـبحان ـ الحالـة الحاصلة من التمسك من المؤمنين بدينه وبكتابه وبعهوده وبوحـدة كلمتهم ، بالحالة الحاصلة من تمسك جماعة بحبـل وثيـق مـأمون الانقطاع ألقى إليهم من منقذ لهم من غرق أو سقوط أو نحوهمـا ، وإضافة الحبل إلى الله تعالى قرينه على هذا التمثيل .

وقوله تعالى " واذكروا إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فـأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منـها " فى الآية الكريمة تصوير بديع لحالة المسلمين قبل الإسلام وحالتهم بعـد الإسلام فقد صور ـ سـبحانه ـ حـالهم وترديـهم فى الكفـر والاختلاف والتقاتل قبل أن يدخلوا الإسلام بحال من يكون علـى حافة حفرة من النار يوشك أن يقع فيها .

قال محمود صافى [2] : " واعتصموا بحبل الله " فى الآية استعارة تمثيلية : بأن شبهت الحالة الحاصلة للمؤمنين فى استظهارهم بأحد ما ذكـر

---

[1] التفسير الوسيط م٢ ج١ ص ١٩٩ ، ٢٠٠

[2] الجدول فى إعراب القرآن م٢ جـ٣ ، ٤ ص ٢٦٤

، ووثوقهم بحمايته ، باخالة الحاصلة فى تمسك المتدلى من مكان رفيع بحبل وثيق مأمون الانقطاع من غير اعتبار مجاز فى المفردات واستعير ما يستعمل فى المشبه به من الالفاظ للمشبه الطباق بين " أعداء " و " إخوان " .

قال محى [1] الدين قوله " واعتصموا بحبل الله جميعاً " الحبل القرآن الكريم لقو النبى ﷺ : " القرآن حبل الله المتين " فى الآية استعارة تمثيلية فقد شبة الوثوق بالله والاعتماد على حمايته بحال من يمسك بحبل وثيق وقد يدلى من مكان عال ، فهو أمن انقطاع وانقلابه .

****

٢٤- قال تعالى : " فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فإذا اطمأنتم فاقيموا الصلاة إنّ الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً " [2] ..

قال الطاهر [3] : إطلاق الاطمئنان يشبه أن يكون حقيقة ، والإقامة هنا الإتيان بالشئ قائماً أى تماماً على وجه التمثيل .

---

[1] إعراب القرآن وبيانه جـ٢ ص ١٢

[2] (النساء الآية ١٠٣)

[3] التحرير والتنوير جـ٣ ، ٥ ص ١٨٦

قال محى الدين [1] : الكلام مستأنف مسوق لتقرير ما يندب بعد صلاة الخوف على الوجه الكامل : " إنّ الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً " تعليل لما سبق .

وقال سيد قطب [2] : الآية توجيه إلى الاتصال بالله فى كل حال .

قال طنطاوى [3] : " إنّ الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً " تذييل المقصود منه تأكيد ما قبلة ، وقد أكد الله تعالى " بإنّ " المفيدة للتأكيد " وكان " للدوام والاستمرار .

واتفقا الزحيلى [4] والصابونى [5] فى الآية قال الزحيلى : " فإذا قضيتم الصلاة فيه إطلاق العام وإرادة الخاص لأن المراد بها صلاة الخوف . " فأقيموا الصلاة إنّ الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً " الإطناب بتكرار لفظ الصلاة تنبيهاً على فضلها .

****

---

[1] إعراب القرآن وبيانه جـ٢ ص ٣١٢

[2] فى ظلال القرآن جـ٢ ص ٧٤٩

[3] التفسير الوسيط ٣٠ ص ٢٩٤

[4] التفسير المنير جـ٥ ، ٦ ص ٢٣٥

[5] صفوة التفاسير م١

٢٥- قال تعالى : " واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذى واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا واتقوا الله إن الله عليم بذات الصدور "[1]

قال الطاهر[2]: ففى صيغة " واثقكم " استعمال اللفظ فى حقيقته ومجازاة . ومعنى " سمعنا وأطعنا " الاعتراف بالتبليغ أو أن سمعنا مجاز فى الامتثال " واطعنا " تأكيد له . " إن الله عليم بذات الصدور " تذييل للتحذير ، أفاد أن الجملة علة لما قبلها على الأسلوب المقرر فى البلاغة .

قال أبو السعود[3]: " إذ قلتم سمعنا وأطعنا " وفائدة التقييد به تأكيد وجواب مراعاته بتذكيرهم إذ قبلوا الميثاق للمحافظة عليه .

" إن الله عليم بذات الصدور " الجملة اعتراض تذييلى وتعليل للأمر بالاتقاء واظهار الاسم الجليل فى موضع الإضمار لترتيبه المهابة وتعليل الحكم وتقوية استقلال الجملة .

---

[1] (المائدة الآية : ٧)

[2] التحرير والتنوير جـ٣ ، ٦ ص ١٢٣

[3] تفسير أبو السعود ج٢ ص ١٢

قال أبو حيان[1]: " الميثاق " قيل ما أخذه رسول الله ﷺ من المؤمنين فى بيعة العقبة إقرار كل مؤمن بما ائتمر به وقيل الميثاق الذى أخذه الله على بنى إسرائيل ، والقولان بعده يكون الميثاق فيها مجازاً والأجود حملة على ميثاق البيعة إذ هو حقيقة فيه .

قال سيد قطب[2]: " واثقكم " إشارة إلى الميثاق الذى واثقهم الله به ، وقوله " إن الله عليم بذات الصدور " كناية للصدور المصاحبة ، وهى على خفائها مكشوفة لعلم الله تعالى المطلع على الصدور .

****

٢٦- قال تعالى : " يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون "[3]

" يا أيها الذين آمنوا " بدأ الاستئناف بالنداء قوله " إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم عنكم " بسط اليد مجاز فى البطش ويطلق على السلطة مجازاً .

---

[1] البحر المحيط جـ٤ أ) ص ١٩٥ ب) ص ١٩٦

[2] فى ظلال القرآن جـ٢ أ) ص ٨٥١ ب) ص ٨٥٢

[3] (المائدة : ١١)

قوله " فكف أيديهم عنكم " كف اليد مجاز عن الإعراض فى السوء خاصة [1].

قال أبو حيان [2]: جاء الأمر بالتوكل أمر غائب لأجل الفاصلة ، وإشعار بالغلبة وإفادة العموم فى وصف الإيمان والابتداء الآية بمؤمنين على جهة الاختصاص ، وختمها بمؤمنين على جهة التقريب.

قال سيد قطب [3]: " إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم " إن صورة حركة بسط الأيدى وكفها أكثر حيوية من ذلك التعبير المعنوى الحر ، والتعبير القرآنى يتبع طريقة الصورة والحركة لأن هذه الطريقة تطلق الشحنة الكاملة فى التعبير كما لو كان هذا التعبير يطلق للمرة الأولى مصاحباً للواقعة الحسية التى يعبر عنها مبرزاً لها فى صورتها الحية المتحركة .

---

[1] التحرير والتنوير جـ٥ ، ٦ ص ١٣٧ .

[2] البحر المحيط جـ٤ ص ١٩٨

[3] فى ظلال القرآن جـ٢ ص ٨٥٥

قال أبو السعود [1]: " أن يبسطوا إليكم أيديهم " قال وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح للمسارعة إلى بيان رجوع ضرر البسط وعائلته إليهم حملاً لهم من أول الأمر على الاعتداء بنعمة " فكف أيديهم عنكم " وإظهار أيديهم فى موقع الإضمار لزيادة التقرير أى منع أيديهم أن تمد إليكم عقيب همهم بذلك لا أنه كفها عنكم بعد ما مدوها إليكم .

قال الآلوسى [2]: " أن يبسطوا إليكم أيدهم " والبسط فى الأصل مطلق المد وإذا استعمل فى اليد واللسان كان كناية عما ذكر " فكف أيديهم " وإظهار الأيدى لزيارة التقرير . " فليتوكل المؤمنون " الجملة تذييل مقرر لما قبله .

قال الجمل [3]: " فكف أيديهم " وإظهار أيديهم فى موضع الإضمار لزيادة التقرير .

---

[1] تفسير أبو السعود ٢م ص ١٤ ، ١٥

[2] روح المعانى ٤م ص ١٢٤ ، ١٢٥

[3] فى الفتوحات الإلهية جـ١ ص ٤٧١

قال طنطاوى [1] " أن يبسطوا إليكم أيديهم " بسط أيد كناية عن البطش والإهلاك " فكف أيديهم " بإظهار الأيدى ، ولم يقل فكفها عنكم ، لزيادة التقرير .

****

٢٧- قال تعالى : " إذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلاً وإذ علمتك الكتاب الحكمة والتوراة والانجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذنى فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذنى وتبرىء الاكمه والابرص بإذنى وإذ تخرج الموتى بإذنى وإذ كففت بنى إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين " [2]

قال صاحب التحرير والتنوير [3] : والمقصود من ذكر ما يقال لعيسى يومئذ هو تقريع اليهود والنصارى ، والأمر فى قوله " اذكر " للامتنان إذ ليس عيسى بناس لنعم الله عليه وعلى والدته ، ووجه ذكر والدته هنا الزيادة من تبكيت اليهود وكمدهم ، " وإذ

---

[1] التفسير الوسيط ج١ ص ٧٦ ، ٧٧

[2] (المائدة الآية : ١١٠)

[3] التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور جـ٧ ص ١٠١ ، ١٠٢

تخرج الموتى " أطلق الإخراج وأريد به لازمة هو الأحياء ، " فتنفخ فيها " قال : قال ابن عطية الضمير هنا عائد إلى ما تقتضيه الآية ضرورة أى بدلالة الاقتضاء .

وقال صاحب التفسير القرآنى للقرآن : وفى التفات عيسى عليه السلام إلى هذه النعم فى تذكيره بالمعجزات التى إطلع بها على بنى إسرائيل - فى هذه - تسمية لبنى إسرائيل وفى قوله " وإذ كففت بنى إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين " إشارة إلى ما أبطل الله به سبحانه مكر بنى إسرائيل [1] .

قال صاحب فتح البيان : " إذ قال الله يا عسى بن مريم " تخصيص بعد تعميم ، والماضى هنا بمعنى المضارع لأن هذا القول يقع يوم القيامة ، قال السمين والكرخى ، " وعلى والدتك " ذكره سبحانه وتعالى بنعمته عليه وعلى أمه مع كونه ذاكراً لها عالماً بتفضل الله سبحانه بها لقصد تعريف الأمم بما خصها به الله من الكرامة وعلو المقام أو لتأكيد الحجة وتبكيت الجاحدة وتوبيخ من اتخذهما إلهين ، "والتوراة والإنجيل " من عطف الخاص على العام وتخصيصهما

---

[1] التفسير القرآنى للقرآن لعبد الكريم الخطيب المجلد السادس ص ٧٢ ، ٧٣

بالذكر لمزيد اختصاصه بهما ، وتكرير " بإذنى " فى المواضع الأربعة بعد أربع جمل للإعتناء بأن ذلك كله جهة الله ، وهنا مقام تذكير بالنعمة والامتنان فناسب الإسهاب [1].

وقال صاحب روح المعانى : " إذ قال الله يا عيسى بن مريم " وصيغة الماضى تدل على تحقق الوقوع ، وتخصيص عيسى عليه السلام بالذكر لما أن شأنه عليه الصلاة والسلام متعلق بكلا فريقى أهل الكتاب ، " تكلم الناس فى المهد " أى طفلاً وما فى النظم القرآنى أبلغ من التصريح بالطفولية وأولى لأن الصغير يسمى طفلاً إلى أن يبلغ الحلم فلذا عدل عنه ، " وكهلاً " قائل : الأولى أن يجعل " كهلاً " تشبيها بليغاً أى تكلمهم كائناً فى المهد وكائناً فى الكهل .....

قال أنت تعلم ان أخذ التشبيه من العطف لا وجه له وتقدير الكاف تكلف ، " والتوراة والإنجيل " خصا بالذكر لشرفهما [2].

" وإذ تخرج الموتى بإذنى " أعيدت فيه " إذ " كما قيل لكون إخراج الموتى من قبورهم ... معجزة باهرة حرية بتذكير وقتها

---

[1] فتح البيان فى مقاصد القرآن لصديق حسن خان جـ٣ ص ١١٤ : ١١٦

[2] روح المعانى للآلوسى المجلد الخامس جـ٧ ص ٨٢

صريحاً وما فى النظم القرآنى أبلغ من : تحى الموتى فلذا عدل عنه إليه ، وذكر لفظ " بإذنى " أربع مرات لأنه امتنان فتناسب هذا التكرار ، " فقال الذين كفروا منهم " ووضع المظهر موضع ضميرهم لذمهم بما فى حيز الصلة [1].

وقال الفخر الرازى : والمقصود توبيخ النصارى وتقريعهم على سوء مقالتهم ، والفائدة فى هذه الحكاية تنبيه النصارى الذين كانوا فى وقت نزول هذه الآية على قبح مقالتهم وركاكة مذهبهم واعتقادهم . " إذ أيدتك بروح القدس " وفيه وجهان :

الأول : روح القدس هو جبريل عليه السلام والثانى الروح جبريل والقدس هو الله تعالى وكأنه أضافه إلى نفسه تعظيماً له .

" التوراة والإنجيل " وفيه وجهان : الأول أنهما خصا بالذكر بعد ذكر الحكمة والكتب على سبيل التشريف وقال هو إشارة إلى الأسرار التى لا يطلع عليها أحد إلا أكابر الأنبياء عليهم السلام ، وقال وإنما أعاد قوله " بإذنى " تأكيداً [2].

---

[1] روح المعانى للآلوسى المجلد الخامس جـ٧ ص ٨٣

[2] التفسير الكبير للفخر الرازى المجلد السادس جـ١٢ ص ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤

وقال صاحب التفسير المنير : قد عبر الله تعالى عن كل تلك النعم التي امتن الله بها على عيسى بصيغة الماضي للدلالة على وقوعه ، والغرض من إيراد المعجزات هو تنبيه النصارى الذين كانوا في وقت نزول هذه الآية على قبح عاقبتهم [1].

وقال صاحب الكشاف : والمعنى أنه يوبخ الكافرين يومئذ بسؤال الرسل عن إجابتهم [2] . " بروح القدس " بالكلام الذي يحيى به الموتى وأضافه إلى القدس لأنه سبب الطهر من أوضاع الآثام ، " والتوراة والإنجيل " قال خصا بالذكر مما تناوله الكتاب والحكمة لأن المراد بها حسن الكتاب والحكمة ، " كهيئة الطير " هيئة مثل هيئة الطير [3].

قال صاحب التفسير الوسيط : " إذ قال الله " وعبر بالماضي مع أن هذا القول سيكون في الآخرة للدلالة على تحقق الوقوع وأن هذا القول سيحصل بلا أدنى ريب يوم القيامة ، وفي ندائه -سبحانه- لعيسى عليه السلام بقوله " يا عيسى بن مريم " إشارة إلى انه ابن

---

[1] تفسير المنار لرشيد الرضا جـ٧ ص ١٩٢ ، ١٩٣

[2] هذا الرأي للزمخشري وقال به أبو حيان الأندلسي في البحر المحيط جـ٤ ص ٤٠٤

[3] الكشاف للزمخشري جـ١ ص ٣٧١

لها وليس ابناً لأحد سواها وقوله " فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين " تذييل قصد به ذمهم وتسجيل الحقد والجحود عليهم [1].

وقال صاحب الفتوح الإلهية : " إذ قال الله . . .الآية " الماضي هنا بمعنى المضارع لأن هذا القول يقع يوم القيامة والمراد توبيخ الكفرة المختلفين في شأنه وشأن أمه إفراطاً وتفريطاً .

" فتنفخ فيها " الضمير للكاف لأنها صفة الهيئة المضاف إليها لأن الثانية مشبه بها هي من خلق الله بل الأولى المشبه ، المدلول عليها بالكاف فلأنها من تقديره .

وتكرير قوله " بأذني " في المواضع الأربعة للإعتناء بتحقيق الخرق ببيان أن تلك الخوارق ليست من قبل عيسى .

قال " بأذني " فناسب الإسهاب ، " إلا سحراً " وقيل يحتمل أن تكون الإشارة إلى عيسى جعلوه نفس السحر مبالغة نحو رجل عدل أو على حذف مضاف [2].

---

[1] وقال أبو حيان في البحر المحيط : وجاء هنا بأذني أربع مرات عقب أربع جمل لأن هذا موضع ذكر النعم والامتنان فناسب الإسهاب جـ٤ ص ٤٠٧

[2] الفتوح الإلهية لابن عمر الشافعي جـ١ ص ٥٤١ ، ٥٤٢ ، ٥٤٣

قال الآلوسى [1]: قوله " يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم " وتوجيه الأمر بالذكر إلى الوقت أبلغ من توجيهه إلى ما وقع فيه وإن كان هو المقصود بالذات .

قال أبو السعود [2]: " وإذ قال موسى لقومه " جملة مستأنفة مسوقة لبيان مافعلت بنو إسرائيل بعد أخذ الميثاق ، وتفصيل نقضهم له . " يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم " وتوجيه الأمر بالذكر إلى الوقت دون ما وقع فيه تفصيلاً من الحوادث مع أنها المقصودة بالذات للمبالغة فى إيجاب ذكرها . " وجعلكم ملوكاً " أى ملوكاً كثيرة ، وإنما حذف الظرف تعليلاً على ظهر الأمر أو جعل الكل فى مقام الامتنان عليهم ملوكاً ولو مجازاً .

قال الفخر [3]: " وجعلكم ملوكاً " أنه كان فى أسلافهم وأخلافهم ملوك وعظماء وقد يقال فيمن حصل فيهم ملوك ، أنتم ملوك على سبيل الاستعارة .

---

[1] روح المعانى م٤ ص ١٥٤

[2] تفسير أبو السعود م٢ ص ٢٠

[3] التفسير الكبير م٦ جـ١١ ، ١٢ ص ٢٠٠

وقال الشيخ سيد قطب : فى الآية يلتفت الخطاب إلى عيسى بن مريم ... يذكره نعمة الله عليه وعلى والدته [1]

وذكر صاحب البحر : " وإذ تخرج الموتى " تحيى الموتى فعبر بالإخراج عن الإحياء [2].

وقال الحافظ بن كثير : يذكر الله فى الآية ما امتن به على عبده ورسوله عيسى بن مريم وعبر عنه بصيغة الماضى دلالة على وقوع ذلك لا محالة [3].

****

٢٨ - قال تعالى "وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين "

قال الطاهر [4]: قوله تعالى " وجعلكم ملوكا " تشبيه بليغ ، واستعمل فعل جعلكم فى الاستقبال قصداً لتحقيق الخبر

---

[1] فى ظلال القرآن للشيخ سيد قطب الجزء الثانى ص ٩٩٧

[2] البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى جـ٤ ص ٤٠٢

[3] تفسير القرآن العظيم للحافظ بن كثير الجزء الثالث ص ٢١٨ ، ٢١٩

[4] التحرير والتنوير جـ٦ ، ٧ ص ١٦١

٢٩- قال تعالى : " أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون "[١]

" أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم " افتتح الجملة بالاستفهام الإنكاري .

قال الآلوسي : " واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح " وتوجيه الأمر بالذكر إلى الوقت دون ما وقع فيه مع أنه المقصود بالذات للمبالغة في إيجاب ذكره . وزاد الآلوسي " من بعد قوم نوح " أي مساكنهم أو في الأرض المعمورة فالإسناد على سبيل المجاز . وفي ذكر نوح إشارة إلى دفع التعجب على الوعيد والتهديد أي اذكروا إهلاك قومه لتكذيبهم " فاذكروا آلاء الله " هنا تكرير للتذكير لزيادة التقرير ونعمه تر تخصيص أي اذكروا آلاء الله التي من جملتها ما تقدم

[١] (الأعراف الآية : ٦٩)

٣٠- قال تعالى : " واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين "[١]

قال الطاهر[٢] : وتفريع الأمر بالذكر في قوله " واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد " تفريع الأعلم على الأخص . قوله " مفسدين " حال مؤكدة لمعنى " تعثوا " وهو وإن كان أعم من المؤكد فإن التأكيد يحصل بمعنى المؤكد .

قال الفخر[٣] : قوله " ولا تعثوا في الأرض مفسدين " قيل المراد منه النهي عن عقر الناقة ، والأولى أن يحمل على ظاهره وهو المنع عن كل أنواع الفساد .

****

٣١- قال تعالى : "وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم"[٤]

[١] (الأعراف:٧٤)
[٢] التحرير والتنوير جـ٨ ، ٩ ص ٢٢١
[٣] التفسير الكبير م٧ جـ١٤ ص ١٧١
[٤] (إبراهيم:٦)

قال الزمخشري [1]: " إذ أنجاكم " ظرف للنعمة ، أو بدل اشتمال " يذبحون " فإن قلت فى سورة البقرة " يذبحون " وفى الأعراف " يقتلون " ، وههنا" ويذبحون " بالواو فما الفرق " قلت : الفرق أن التذبيح حيث طرح الواو جعل تفسيراً للعذاب وبياناً له وحيث أثبت جعل التذبيح لأنه أوفى على جنس العذاب وزاد عليه زيادة ظاهرة كأنه جنس آخر " وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم " إشارة إلى الإنجاء وهو بلاء عظيم ، والبلاء يكون ابتلاء بالنعمة والمحنة جميعاً قال تعالى " ونبلوكم بالشر والخير فتنة " [2].

قال أبو السعود [3]: " اذكروا نعمة الله عليكم " بدأ عليه الصلاة والسلام بالترغيب لأن النفس أقبل عليه وأميل .

قال أبو حيان [4] " ويذبحون " بالواو وفى غير البقرة والأعراف " يقتلون " فحيث لم يؤت بالواو جعل الفعل تفسيراً لقوله : " يسومنكم " وحيث أتى بها دل على المغايرة .

---

[1] الكشاف جـ٢ ص ٢٩٤

[2] سورة الأنبياء الآية ٣٥

[3] تفسير أبو السعود جـ٣ ص ١٧٩

[4] البحر المحيط جـ٦ ص ٤١٠

قال الآلوسى [1]: " وإذ قال موسى " شرع عليه السلام لما أمر به من تذكيرهم " عليكم " بدأ بالترغيب لأنه أقبل عند النفى .

" إذ أنجاكم من آل فرعون " يجوز أن يكون بدل اشتمال من نعمة الله مراداً بها الإنعام " ويذبحون أبناءكم " ههنا فيه إشارة إلى وجه العطف وتركه مع أن القصة واحدة وحاصل ذلك أنه حيث طرح الواو قصد تفسير العذاب وبيانه فلم يعطف لما بينهما من كمال الاتصال ، وحيث لم يعطف لم يقصر ذلك والعذاب إن كان المراد به الجنس فالتذبيح لكونه أشد أنواعه عطف عليه عطف جبريل على الملائكة عليهم السلام تنبيهاً على أنه لشدته كأنه ليس من ذلك الجنس وكأن المراد به غيره كالاستبعاد فهما متغايران والمحل محل عطف ، وقد جوز أهل المعانى أن يكون بمعنى واحد فى الجميع وذكر الثانى للتفسير وترك العطف فى البقرة والأعراف ظاهر العطف هنا لعدم التفسير بكونه أوفى لمراد وأظهر لمنزلة المغايرة وهو وجه حسن أيضاً .

---

[1] روح المعانى جـ٨ ص ١٧٣ ، ١٧٤

٣٢- قال تعالى : " يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصير "[1]

قرأ الجمهور : " بما تعملون بصيرا " بتاء الخطاب، وقرأ أبو عمرو وحده بتاء الغيبة على الإلتفات .

قال أبو السعود[2] : " فأرسلنا عليهم ريحاً " عطف على " جاءتكم " لبيان النعمة إجمالاً : " وكان الله بما تعملون بصيرا " الجملة اعتراضية مقرر لما قبله .

قال الفخر[3] : " وكان الله بما تعملون بصيرا " إشارة إلى أن الله تعالى علم التجاءكم إليه وهذا تقرير لوجوب الخوف من الله وعدمه من غيره تعالى .

قال عبد الكريم الخطيب[4] : " وجنوداً لم تروها " إشارة إلى الريح التى أرسلها الله تعالى على المشركين .

---

[1] (الأحزاب الآية : ٩)

[2] تفسير أبو السعود ٤ص ٣١٠

[3] التفسير الكبير م١٢ جـ ٢٣ ، ٢٤ ص ١٩٩

[4] التفسير القرآني للقرآن ٦ص ٤٢٥ ، ٤٢٦

٣٣- قال تعالى : " يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو فأنى تؤفكون "[1]

هل من خالق غير الله يرزقكم " الاستفهام إنكارى فى معنى النفى ولذلك اقترن بعده بـ " من " التى تزاد لتأكيد النفى ، واختير الاستفهام بـ " هل " دون الهمزة لما فى أصل معنى " هل " من الدلالة على التحقيق والتصديق لأنها فى الأصل بمعنى " قد " وتفيد تأكيد النفى ، وجعل النفى متوجهاً إلى القيد وهو جملة الصفة فى الكلام المقيد ، لأن المقصود التذكير بنعم الله ويكون ذلك كناية عن الاستدلال على انتفاء وصف الخالقية عن غيره تعالى .

قال الزمخشرى[2] : " يا أيها الناس اذكروا " خطاب عام للجميع . " لا إله إلا هو " جملة مفصولة لا محل لها مثل " يرزقكم "

قال الفخر[3] : قال تعالى " يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم " لما بين أن الحمد لله ، وبين بعض وجوه النعمة التى تستوجب الحمد

---

[1] (فاطر الآية : ٣)

[2] الكشاف جـ٣ ص ٢٦٧

[3] التفسير الكبير م١٣ جـ٢٥ ، ٢٦ ص ٤

على سبيل التفصيل ، بين نعمه على سبيل الإجمال فقال " اذكروا نعمة الله " وهى كثيرة منحصرة فى نعمة الإيجاد ، ونعمة الإبقاء . " يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم " ولما كانت نعم الله مع تشعب فنونها منحصرة فى نعمة الإيجاد ونعمة الإبقاء نفى — سبحانه — أن يكون فى الوجود شئ غيره — سبحانه — يصدر عنه إحدى النعمتين بطريق الاستفهام الذى هو للإنكار " هل من خالق غير الله يرزقكم . وزاد الآلوسى " هل تأتى لذلك كما فى المطول وحواشيه " قال الرضى : إن هل لا تستعمل فى الإنكار وأراد به الإنكار على مدعى الوقوع كما فى قوله تعالى " أفأصفاكم ربكم بالبنين " [1] ويلزمه النفى والانكارعلى من أوقع الشئ كما فى قولك : أتضرب زيداً وهو أخوك أى هل خالق مغاير له سبحانه وتعالى موجود لكم أو للعالم .

واتفقا أيضاً فى قوله : " لا إله إلا هو " استئناف مقدر للنفى المفهوم مما تقدم وزاد الآلوسى " فأنى يؤفكون " الفاء للترتيب.

---

[1] سورة الإسراء آية ٤٠

٣٤- قال تعالى : " وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا آيات الله هزوا واذكروا نعمت الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شئ عليم " [1]

قال الإمام الطاهر [2]: " فامسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف "كرر الحكم المفاد فى قوله " فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان " الآية أفادت التخيير بين الإمساك والتسريح فى مدة العدة ، وهذه أفادت التخيير بين الإمساك والتسريح فى آخر أوقات العدة ، ويستتبع هذا التذكير الإشارة إلى الترغيب فى الإمساك من جهة إعادة التخيير بعد تقدم ذكره وليبنى عليه ما تصدر من النهى عن الإضرار والتحذير التى اقتضى الحال الاعتراض بها قوله : " ولا تمسكوهن ضراراً " تصريح بمفهوم " فامسكوهن بمعروف " لقصد التأكيد ونكتته تقرير المعنى المراد فى الذهن .

---

[1] (البقرة الآية : ٢٣١)

[2] التحرير والتنوير جـ٢ ص ٤٢٢

قوله : " ولا تتخذوا آيات الله هزوا " عطف هذا النهى على النهى

فى قوله [1] " ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا " لزيادة التحذير من

صنيعهم فى تطويل العدة .

قوله : " واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شئ عليم " تذكير بالتقوى ومدعاة عليهم بأن الله عليم بكل شئ تنزيلاً لهم فى حين مخالفتهم بأفعالهم لمقاصد الشريعة منزلة من يجهل أن الله عليم .

قال الآلوسى [2] : قوله " وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن " أى عدتهن فهو مجاز من قبيل استعمال الكل فى الجزء إن قلنا : إن الأجل حقيقة جميع المدة . فإن كان من باب الاشتراك فذاك وإلا فالتجوز من الكل على الجزء الأخير أقوى من العكس - البلوغ - فى الأصل الوصول وهو المراد فى الآية .

وهو إما مجاز لمشارفة البلوغ أو الاستعارة تشبيهاً للمتقارب الوقوع بالواقع ليصح أن يترتب عليه . قوله :" فامسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف " - الإمساك - مجاز عن المرافقة لأنها سببه - والتسريح - بمعنى الإطلاق فهو مجاز عن الترك ، وهو

---

[1] البحر المحيط جـ٢ ص ٢٢٤

[2] روح المعانى م٢ ص ٢١٦

إعادة للحكم فى صورة بلوغهن أجلهن اعتناء بشأنه ومبالغة فى إيجاب المحافظة عليه .

قوله : " ولا تمسكوهن ضراراً " تأكيد للأمر - بالإمساك بالمعروف - وتوضيح لمعناه وهو أدل منه على الدوام والثبوت ، قوله " ولا تتخذوا آيات الله هزوا " نهى أريد به الأمر بضده .

قوله [1] : " وما أنزل عليكم " من عطف الخاص على العام ، كأنه لما قيل جدوا فى العمل بالآيات على طريق الكناية أكد ذلك بأنه شكر للنعمة فقوموا بحقه ، ويكون العطف تأكيداً على تأكيد - ولا بأس أن يسمى عطف التقرير .

قال الفخر [2] : قوله " إذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن " كان من ذكر حكماً يتناول صوراً كثيرة وكان إثبات ذلك الحكم فى تلك الصورة الخاصة مرة أخرى ليدل ذلك التكرير على أن فى تلك الصورة من الاهتمام ما ليس غيرها .

قوله " فامسكوهن بمعروف " إشارة إلى المراجعة وفيه وجهان .

---

[1] روح المعانى م٢ ص ٢١٦

[2] مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير م٣ جـ٥ ، ٦ أ) ص ١١٦ ب) ص ١١٧ ج) ص ١١٨ د) ١١٩

أحدها : المراد ببلوغ الأجل مشارفة البلوغ ، وبالجملة فهذا من باب المجاز الذى يطلق فيه اسم الكل على الأكثر ، وهو كقول الرحل إذا قارب البلد : قد بلغنا .

الثانى : أن الأجل اسم للزمان فنحمله على الزمان الذى هو آخر زمان يمكن إيقاع الرجعة فيه،بحيث إذا فات لا يبقى بعده مكانة للرجعة ، وعلى هذا التأويل لا حاجة بنا للمجاز .

قوله : " ولا تمسكوهن " للقائل أن يقول : لا فرق بين قوله " فامسكوهن بمعروف "وبين قوله " ولا تمسكوهن ضراراً " لأن الأمر بالشئ نهى عن ضده ، ما فائدة التكرار ؟

الجواب : الأمر لا يفيد إلا مرة واحدة ، فلا يتناول كل الأوقات ، أما النهى فإنه يتناول كل الأوقات .

قوله تعالى : "ولا تتخذوا آيات الله هزوا " تهديد والتهديد إذا ذكر بعد ذكرالتكاليف كان تهديداً على تركها لا على شئ غيره.

قال القنوجى : "وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن " البلوغ إلى الشئ معناه الحقيقى الوصول إليه ،ولا يستعمل البلوغ بمعنى المقاربة إلا مجازاً لعلاقة مع قرينة كما هنا ، فإنه لا يصح إرادة المعنى الحقيقى لأن المرأة إذا انتهت من جزء من مدة العدة

وجاوزته إلى الجزء الذى هو الأجل للإنقضاء فقد خرجت من العدة ولم يبق للزوج عليها سبيل .

قال أبو حيان [1]: " فبلغن أجلهن " على الحقيقة لأن الإمساك ليس له إذا انقضت عدتها " ولا تمسكوهن ضراراً " هذا كالتوكيد لقوله " فامسكوهن بمعروف " وحكمة هذا النهى أن الأمر لا يتناول سائر الأوقات ويعمها " واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل من الكتاب والحكمة " هو أمر معطوف على أمر فى المعنى وهو " لا تتخذوا آيات الله هزوا " وما أنزل عليكم معطوف على نعمة ، وهو تخصيص بعد تعميم ، وأتى بعليكم ، تنبيهاً للمأمورين وتشريفاً لهم إذ فى الحقيقة ما أنزل إلا على محمد ﷺ ولكنه لما كنا مخاطبين بأحكامه ومكلفين باتباعه صار كأنه نزل علينا .

قال تعالى : " لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين " (الزخرف الآية : ١٣)

قال الإمام الآلوسى : " ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه "

---

[1] البحر المحيط م٢ ص ٤٨٨ ، ٤٨٩

ير للحال وفيها مزيد التقرير لمعنى التعجب والكلام وإن كان إخبار أو لاً يشعر بالطلب [1].

قال أبو حيان الأندلسى : " ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه " لا يراد الذكر باللسان بل بالقلب ولذلك قابله بقوله :" وتقولون سبحان الذى سخر لنا هذا " [2]

وقال صاحب إعراب القرآن وبيانه : السر فى قوله " وإنا إلى ربنا لمنقلبون " أنه لما كان الركوب بحد ذاته أمر شديد الخطورة مجهول المغبة والراكب مستهدف لأنواع المتالف وصنوف المخاطرة كان من حقه أن لا ينسى أنه هالك لا محالة وأنه منقلب إلى الله ولن يتاح له الإفلات من قضائه والغاية من ذلك كله أن يكون منتبهاً إلى نفسه غير مؤثر لدنياه على آخرته [3].

وقال صاحب التحرير والتنوير : والظهر من علائق الأنعام لا من علائق الفلك فهذا أيضاً من التغليب . " لتستوا على ظهوره " وهذا تعريض بالمشركين إذا تقلبوا فى الله وشكروا غيره ، وذكر

---

[1] روح المعانى المجلد الرابع عشر جـ٢٥ ص ١٠٤

[2] البحر المحيط جـ٩ ص ٣٦٢

[3] إعراب القرآن وبيانه المجلد التاسع ص ٦٩ ، ٧٠

النعمة كناية عن شكرها لأن شكر المنعم لازم للإنعام عرفاً وعطف على " تذكروا نعمة ربكم " قوله " وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا : فلقنهم صيغة شكر عناية به ، وافتتح هذا الشكر اللسانى بالتسبيح فهو يدل على التنزيه عن النقائص بالصريح ويدل ضمناً على إثبات الكمالات لله فى المقام الخطابى ، واستحضار الجلالة بطريق الموصولية لما يؤذن به الموصول من علة التسبيح [1].

---

[1] التحرير والتنوير جـ٢٥ ص ١٧٤

ذكر اسم الله تعالى

٢٠- قال تعالى : "ويسئلونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله إن الله سريع الحساب "[١].

قال الطاهر [٢]: قوله " علمتم " ليس مخصصاً للعموم الذى أفاده فى قوله "وما علمتم " فهذا العموم يشمل غير الكلاب من فهود وغيرها .

قوله " واذكروا اسم الله عليه " إبداع إيجاز . فقد شمل الحالتين .

قال الفخر [٣]: "تعلمونهن " المقصود منه المبالغة فى اشتراط التعليم .

قال محى الدين [٤]: " يسألونك ماذا أحل لهم " جملة مستأنفة مسوقة للإجابة عن سؤالهم : ماذا أحل لهم ؟

---

[١] (المائدة الآية : ٤)

[٢] التحرير والتنوير جـ٣ ، ٦ ص ١٨٩

[٣] مفاتيح الغيب ج٦ جـ١١ ، ١٢ ص ١٢٧

[٤] إعراب القرآن جـ٢ ص ٤١٣

وزاد السيد قطب [١] عن محى الدين فقال "ويضيف إلى الطيبات وهى عامة نوعاً منها يدل على طيبته وتخصيصه بالذكر بعد تعميمه .وهوما تمسكه الجوارح المعلمة .

وقال طنطاوى [٢]: وفى قوله " يسألونك ماذا أحل لهم " التفات من الحاضر إلى الغائب وفى قوله " ماذا أحل لهم " استفهام وجواب سؤالهم " قل أحل لكم الطيبات " " عليكم " متعلق بأمسكن وهو هنا بمعنى لكم والاستعلاء مجازى .

قال ابن عمرو [٣]: قوله " وما علمتم " من باب عطف الخاص على العام .

قال أبوالسعود [٤]: " إن الله سريع الحساب " إظهار اسم الجليل فى موضع الإضمار لتربية المهابة وتعليل الحكم .

قال أبو حيان [٥]: قوله " يسألونك ماذا أحل لهم " جملة استفهامية جوابها " قل أحل لكم الطيبات " كررت هنا هو الذى أحل

---

[١] فى ظلال القرآن جـ٢ ص ٨٤٦ ، ٨٤٧

[٢] التفسير الوسيط م٤ ص ٤٦

[٣] الفتوحات الإلهية جـ١ ص ٤٦٤

[٤] تفسير أبو السعود م٢ ص ٩ ، ١٠

[٥] البحر المحيط جـ٤ ص ١٧٨ : ١٨١

ت ، وهذه الجملة جاءت فعلية فهي جواب لما سألوا عنه في
لى لا على اللفظ ، لأن الجملة السابقة وهي ماذا أحل لهم اسمية
وهذه فعلية .

****

٣٧- قال تعالى : " وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمهما إلا
من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله
عليها افتراءً عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون "[1]

قال صاحب روح المعاني[2] : وكذلك صاحب الفتوح الإلهية[3] :
قوله " لا يذكرون اسم الله عليها " صفة لأنعام مسوق من قبله
تعالى تعيناً للموصوف وتمييزاً له من غيره ، وقوله : " سيجزيهم بما
كانوا يفترون " أي بسببه أو بدله وزاد الإمام الآلوسي قوله :
وأبهم الجزاء للتهويل .

قال صاحب التحرير والتنوير[4] : قال وعن جماعة من المفسرين
منهم أبو وائل : " لا يذكرون اسم الله عليها " كناية عن منع الحج

---

[1] (الأنعام ١٣٨)
[2] روح المعاني للآلوسي م٥ جـ٨ ص ٥٢
[3] الفتوح الإلهية لابن عنبر الشافعي جـ٢ ص ٩٧
[4] التحرير والتنوير للشيخ الطاهر بن عاشور جـ٨ ص ١٠٨ ، ١٠٩

عليها ، لأن الحج لا يخلوا من ذكر الله حين الكون على الراحلة
من تلبية وتكبير .

وقال صاحب إعراب القرآن وبيانه[1] : " سيجزون بما كانوا
يفترون " الجملة مستأنفة مسوقة لتقرير جزائهم .

ونص كل من الإمام فخر الرازي[2] وأبي حيان الأندلسي[3]
وصاحب التفسير الوسيط[4] وصاحب فتح البيان[5] : على أن في
قوله تعالى : " سيجزيهم بما كانوا يفترون " تهديد شديد ووعيد .

٣٨- قال تعالى : " ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في
أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها
وأطعموا البائس الفقير "[6] .

قال صاحب الكشاف[1] والإمام الفخر الرازي[2] وصاحب فتح
البيان[3] : إن تنكير " منافع " لما أنه أراد بذلك منافع مختصة بهذه

---

[1] إعراب القرآن الكريم وبيانه محي الدين الدرويش م٣ ص ٢٤٥
[2] التفسير الكبير للفخر الرازي م٧ جـ١٣ ص ٢١٨ ، ٢١٩
[3] البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ج م٤ ص ٦٦٠
[4] التفسير الوسيط د / محمد سيد طنطاوي م٥ ص ١٩٠
[5] فتح البيان لصديق حسن خان جـ٣ ص ٢٤٦
[6] (الحج الآية : ٢٨)

العبادة لا توجد فى غيرها من العبادات [1] وفى الآية كنى بالذكر عن الذبح والنحر لأنه لا ينفك عنه وفيه تنبيه إلى أن الغرض الأصلى مما يتقرب به إلى الله تعالى أن يذكر اسم الله تعالى .

وكذلك أن الأمر فى " فكلوا منها " قيل إنه للوجوب عند بعضهم وقال الجمهور أنه للندب هنا وزاد الزمخشرى " ليذكروا اسم الله " وقوله : " على ما رزقهم " ولو قيل لينحروا فى أيام معلومات بهيمة الأنعام لم تر شيئاً من ذلك الحسن والروعة والأمر فى قوله " فكلوا " التفات من الغيبة إلى الخطاب والأمر فى " وأطعموا " للوجوب أو الندب .

وقال صاحب التحرير والتنوير : " ليشهدوا " متعلق بقوله " يأتوك " (آية ٢٧) فهو علة لإيتائهم الذى هو مسبب على التأذين بالحج ، وقال وهذه المنافع ما وعدهم الله به على لسان إبراهيم — عليه السلام — من الثواب فكنى بشهود المنافع عن نيلها .

---

[1] الكشاف للزمخشرى جـ٣ ص ٣٠ ، ٣١

[2] التفسير الكبير ج١٢ جـ٢٣ ص ٣٠

[3] فتح البيان جـ٦ ص ٢٢٤ ، ٢٢٥

[4] وذكر هذا النص ونسبه للزمخشرى صاحب البحر المحيط ج٧ ص ٥٠٢

وتنكير " منافع " : للتعظيم المراد منه الكثرة ، وحرف " على " متعلق بـ " يذكروا " وهو للاستعلاء المجازى الذى هو بمعنى الملابسة والمصاحبة " ما رزقهم من بهيمة الأنعام " قال وأدمج هذا الحكم الإمتنان بأن الله رزقهم تلك الأنعام وهذا تعريض بطلب الشكر على هذا الرزق ، " فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير " قال فالأمر بالأكل منها يحتمل أن يكون أمر وجوب فى شريعة إبراهيم عليه السلام — فيكون الخطاب فى قوله " فكلوا " لإبراهيم ومن معه وقد دل على النعمة الواقعة فى ضمائر " ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام " إلى الخطاب بذلك فى قوله " فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير " على طريقة الالتفات أو على تقدير قول محذوف مأمور به إبراهيم — عليه السلام — وفى حكاية هذا تعريض بالرد على أهل الجاهلية ، والأيام المعلومات أجلت هنا لعدم تعلق الغرض ببيانها ، إنما ذكر البائس مع أن الفقير مغن عنه لترقيق أفئدة الناس على الفقير،وقد حصل من ذكر الموضعين التأكيد [1] .

---

[1] التحرير والتنوير جـ١٧ ص ٢٤٥ ، ٢٤٨

ل صاحب الفتوح الإلهية فى قوله " ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله " بنص ما قاله الزمخشرى ونسبه إليه فى قوله " فكلوا منها " فقال أنه أمر بذلك إباحة وإزالة لما كان عليه الجاهلية من التحرج فيه أو ندباً إلى مواساة الفقراء ومساواتهم [1].

وقال الآلوسى : " منافع " فتنكيرها وإن لم يكن تنوين للتعظيم أو التكثير ويجوز أن يكون للتنويع ، وتعميم المنافع بحيث تشمل النوعية مما ذهب إليه جمع " على ما رزقهم من بهيمة الأنعام " ذكر رأى الزمخشرى فى هذه الجملة الكريمة لأنه قيل " على ما رزقهم " إلى آخره : تشويقاً فى التقرب ببهيمة الأنعام وتهويناً عليهم فى الإنفاق مع ما فى ذلك من الإجمال والتفسير " فكلوا منها " التفات على الخطاب والفاء فصيحة ، والأمر لإباحة بناء على أن الأكل كان منهياً عنه شرعاً وقد قالوا أن الأمر بعد المنع يقتضى الإباحة ، أو للندب على مواساة الفقراء ومساواتهم فى الأكل منها ، " وأطعموا البائس الفقير " الأمر للندب [2].

[1] الفتوح الإلهية حـ٣ ص ١٦٤

[2] روح المعانى م١٠ حـ١٧ ص ٢١٥، ٢١٦

وقال الشيخ سيد قطب : " ويذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام " وهذه كناية عن نحر الذبائح فى أيام العيد وأيام التشريق الثلاثة بعده ، والغرض من تقديم اسم الله المصاحب لنحر الذبائح لأن الجو جو عبادة ولأن المقصود من النحر هو التقرب إلى الله ومن ثم فإن أظهر ما يبرز فى عملية النحر هو ذكر اسم الله على الذبيحة ، " فكلوا منها وأطعموا البائس والفقير " والأمر بالأكل من الذبيحة يوم النحر هو أمر للإباحة أو الاستحباب أما الأمر بإطعام البائس الفقير منها فهو أمر للوجوب [1].

وقال صاحب صفوة التفاسير : قال الفخر : وإنما ذكر المنافع لأنه أراد منافع مخصوصة مختصة بهذه العبادة .

" ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام " قال : قال الفخر وفيه تنبيه على أن الغرض الأصلى ذكر اسمه تعالى عند الذبح وأن نخالف المشركين فى ذلك [2].

قال صاحب التفسير الوسيط : وجاء لفظ " منافع " بصيغة التكثير للتعميم والتعظيم والتكثير أى : منافع عظيمة وشاملة لأمور الدين

[1] فى ظلال القرآن م٤ ص ٢٤٢٠

[2] صفوة التفاسير م٢ ص ٨٥٥

الدنيا ، وقال : قال الآلوسى فى قوله تعالى : " فكلوا منها " الأمر للإباحة أو للندب على مواساة الفقراء ومساواتهم فى الأكل منها [1] .

وقال صاحب التفسير القرآنى للقرآن : وهذا الأمر خاص بذكر الله ... فليس [1] لأمر بذكر اسم الله على هذه الأنعام عند ذبحها وإنشاء لهذا الأمر بل هو توكيد للأمر العام لذكر الله على ما يذبح [2] .

قال صاحب إعراب القرآن وبيانه : اللام فى " ليشهدوا " وعلى فى " على ما رزقهم " للتعليل [3] .

وقال صاحب التفسير المنير : " وأطعموا البائس الفقير " والأمر فيه للوجوب [4] .

********** **********

[1] التفسير الوسيط م٩ ص ٣٠٣

[2] التفسير القرآنى للقرآن م٥ ص ١٠٢١

[3] إعراب القرآن وبيانه م٥ ص ٢٣٠

[4] التفسير المنير جـ١٧ ص ١٩٢

٣٩- قال تعالى : ولكل أمة جعلنا منسكاً ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين " [1]

قال صاحب روح المعانى [2] : وحمل النسك على عبادة خاصة وهو أحد استعمالاته وإن كان فى الأصل بمعنى العبادة مطلقاً وشاع فى أعمال الحج ، " ليذكروا اسم الله " وفى تعليل الجعل بذلك فقط تنبيه إلى أن المقصود والأهم من شرعية النسك ذكره عز وجل ، " على ما رزقهم من بهيمة الأنعام " وفيه تنبيه على أن القربان يجب أن يكون من الأنعام ، " فله أسلموا " وتقديم الجار على الأمر للقصر ، " وبشر المخبتين " قال : : وقال الكلبى هم المجتهدون فى العبادة وهو من الإخبات وأصله كما قال الراغب نزول الخبت وهو المطمئن من الأرض ولا يخفى حسن موقع ذلك هنا من حيث أن نزول الخبت مناسب للحاج .

[1] (الحج الآية : ٣٤)

[2] روح المعانى م١٠ جـ١٧ ص ٢٢٨ : ٢٢٩

وقال صاحب الفتوح الإلهية : مثل قول الإمام الآلوسى فى قوله تعالى : " وبشر المخبتين " [1].

وقال صاحب الكشاف [2] وصاحب التفسير الكبير [3] : شرع الله لكل أمة أن ينسكوا وجعل العلة من ذلك أن يذكر اسمه تقدست أسماؤه .

وقال صاحب إعراب القرآن وبيانه : " ولكل أمة جعلنا منسكاً " جملة مستأنفة مسوقة لتقرير التشريع الخاص بكل أمة ، " وليذكروا " اللام للتعليل .

وقال الشيخ سيد قطب : (الآية) تعقيب بتقرير الوحدانية وبالأمر بالإسلام له وحده [4].

وقال صاحب التحرير والتنوير : فالتكبير فى قوله " منسكاً " للإفراد ومحل الفائدة هو إسناد الجعل إلى ضمير الجلالة . " على " يجوز أن تكون للاستعلاء المجازى متعلقة بـ " يذكروا اسم الله " مع تقدير مضاف بعد " على " ، ويجوز أن تكون بمعنى لام التعليل

---

[1] الفتوح الإلهية جـ٣ ص ١٦٧

[2] الكشاف جـ٣ ص ٣٣

[3] التفسير الكبير ج١٢ جـ٢٣ ص ٣٥

[4] إعراب القرآن وبيانه ج٦ ص ٤٣٤

" فله أسلموا " وهنا التقريع الأول تمهيد للتقريع الذى عقبه وهو المقصود " فله أسلموا " فوقع فى النظم تغيير لتقديم وتأخير وأصل النظم فلله أسلموا وتقديم المجرور فى " فله أسلموا " للحصر ، " وبشر المخبتين " : قال واصل من سلك الخبت وهو المكان المنخفض ضد المصعد ثم استعير للمتواضع كأنه سلك نفسه فى الانخفاض [1].

وقال صاحب التفسير الوسيط : المنسك مأخوذ من النسك بمعنى العبادة فتجوز أن يراد به النسك نفسه ويجوز أن يراد مكانه أو زمانه وذكر نص الإمام الآلوسى فى ذلك [2].

وقال صاحب التفسير القرآنى للقرآن : وفى قوله تعالى " فإلهكم إله واحد " إشارة إلى أن المناسك والشعائر والعبادات التى نعبد الله بها عبادة على لسان رسله هى حق دين الله ، وقوله : " وبشر المخبتين " ، هو استدعاء وإغراء للذين يخلوا بعد هذا الأمر أن يسلموا لله وجوههم وأن يدخلوا فى دينه [3].

---

[1] فى ظلال القرآن م٤ ص ٢٤٢٣

[2] التحرير والتنوير جـ١٧ ص ٢٥٩ : ٢٦١

[3] التفسير الوسيط م٩ ص ٣١٠

وذ صاحب فتح البيان : " فإلهكم إله واحد " الفاء لترتيب مـــا بعده على ما قبلها ، " فله أسلموا " فتقديم الظرف على الفعـــل للقصر والفاء كالفاء التى قبلها [1] .

****

٤٠ - قال تعالى:" والبدن جعلناهم لكم ممن شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون "[2].

قال الطاهر [3]: وتقديم " البدن " على عامله للاهتمام بهـــا تنويـــهاً بشأنها .

وتقديم " لكم " على المبتدأ ليتأتى كون المبتدأ نكرة ليفيد تنويـــهاً بالتعظيم .

وتقديم " فيها " على متعلقة وهو " خير " للاهتمام بما تجمعه مـــن الفوائد .

وقوله " وجبت " سقطت كناية عن زوال الروح منها .

---

[1] فتح البيان فى مقاصد القرآن حـ٦ ص ٢٣١

[2] (الحج:٣٦)

[3] التحرير والتنوير حـ١٦ ، ١٧ ص ٢٦٣

قوله " لعلكم تشكرون " تعريض بالمشركين لأنهم وضعوا الشـــكر موضع الشكر . قاله الشافعى .

قال أبو حيان [1]: قوله " شعائر الله " أضافها إلى أسمه تعظيماً لها .

قال الزحيلى [2]: بين " القانع " والمعتر " طباق لأن الأول متعفـــف والثانى سائل : " وجبت جنوبها " سقطت على الأرض بعد النحـــر كناية عن الموت .

" لعلكم تشكرون " تعليل لما قبله وكلمة " لعل " ليست للرجـــاء الذى هو توقع الأمر المحبوب لأنه مستحيل على الله تعالى ، فتكـــون للتعليل بمعنى " كى "

قال القرطبى [3]: " فإذا وجبت جنوبها " كنى عن الموت بالســـقوط على الجنب ، وكنى عن النحر بالذبح فى قوله " فاذكروا اســـم الله عليها " والكنايات أبلغ من التصريح .

قال سيد قطب [1]: " والبدن " خصها بالذكر لأنها أعظـــم الهـــدى ويقرر الخير لهم بها .

---

[1] البحر المحيط حـ٧ ص ٥٠٩

[2] التفسير المنير حـ١٧ ، ١٨ ص ٢١٦ : ٢١٨

[3] الجامع لأحكام القرآن حـ١١ ، ١٢ ص ٦٣

و محى الدين الدرويش [٢]: " لكم فيها خير " الجملة مستأنفة مسوقة لتقرير ما قبلها ويجوز أن تكون حالاً من الهاء فى "جعلناها".

قال ابن عمرو الشافعى [٣]: " لكم فيها خير " جملة مستأنفة مقررة لما قبلها واتفق مع الآلوسى [٤] فى :" فإذا وجبت جنوبها " كناية عن الموت.

قال الآلوسى "كلوا" للإباحة ولو لم يأكل جاز " أطعموا " للندب.

قال الحافظ بن كثير [٥]: " فكلوا منها " أمر للإباحة.

********** ********

٤١- قال تعالى : " وذكر اسم ربه فصلى " [٦]

قال صاحب التفسير القرآنى للقرآن : هو إشارة إلى أن الصلاة مرتبة على ذكر اسم الله وفى ذكر الصلاة على أنها مترتبة على

---

[١] فى ظلال القرآن مج ٤ ص ٢٤٢٣

[٢] إعراب القرآن وبيانه جـ ٦ ص ٤٣٥

[٣] الفتوحات الإلهية جـ ٣ ص ١٦٨

[٤] روح المعانى مج ١٠ ص ٢٣٢ : ٢٣٤

[٥] تفسير القرآن العظيم جـ ٥ ص ٤٢٥

[٦] (الأعلى الآية : ١٥)

ذكر اسم الله إلى أن الصلاة بما فيها من ولاء وخشوع وركوع وسجود هى أكمل الوسائل وأعظم القربات التى يتقرب بها العبد إلى ربه ، وفى ذكر سبحانه وتعالى بالربوبية من بين أسمائه الكريمة كلها إشارة إلى أن الذى يذكر الإنسان أسمه هو مربيه ومنشؤه والمنعم عليه بالإيجاد والخلق على هذه الصورة السوية [١].

****

رابعاً : ذكر كتبه تعالى

قال تعالى : " وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون [٢]

قال الإمام الطاهر [٣]: قوله تعالى " خذوا ما آتيناكم بقوة " الأخذ مجاز عن التلقى والعزيمة على العمل ويجوز أن يكون الذكر مجازاً عن الامتثال أى : اذكروه عند عزمكم على الأعمال أو المراد التفهم بدليل حرف (فيه) المؤدى بالظرفية المجازية أى استنباط الأصول من الفروع . وجملة " لعلكم تتقون " علة للأمر بقوله "

---

[١] التفسير القرآنى للقرآن مج ٨ ص ١٥٣٥

[٢] (البقرة الآية : ٦٣)

[٣] التحرير والتنوير جـ ١ ص ٥٤٢

عن ما آتيناكم " والرجاء الذى يقتضيه حرف (لعل) مستعمل فى معنى قريب سبب التقوى ، ويجوز أن يكون " لعل " قرينة استعارة تمثيل شأن الله حين هيأ لهم أسباب الهداية بحال الراجى تقواهم وعلى هذا محمل موارد كلمة " لعل " فى الكلام المسند إلى الله تعالى .

وقال الإمام الآلوسى [1] : قوله " لعلكم تتقون " كلمة " لعل " متعلقة بخذوا واذكروا ، إما مجاز بؤول معناه بعد الاستعارة إلى تعليل ذى الغاية بغايته أو حقيقة لرجاء المخاطب ، والمعنى " خذوا " و " واذكروا " راجين أن تكونوا متقين ، ويرجع المعنى المجازى أنه لا معنى لرجائهم فيما يشق عليهم أعنى التقوى . للمبالغة فى النصح وقيل ما سيق كان للأمر بالقيام .

وقال أبو حيان الأندلسى [2] : قوله " واذكروا ما فيه " وهو شبه التفات ، لأنه خرج من ضمير المعظم نفسه إلى غيره .

" لعلكم تتقون " رجاء أن يحصل لكم التقوى بذكر ما فيه .

وقال سيد قطب [3] : أمر لهم بأخذ ما فى الكتاب بقوة .

---

[1] روح المعانى م١ ص ١٤٤

[2] البحر المحيط جـ١ ص ٣٩٤

وقال عبد الكريم الخطيب [1] : و " لعل " الدالة على الترجى إنما يتوجه بها إلى المخاطبين فيهم على رجاء من القبول أو التوقف أو النكوص على الأعقاب وهكذا كل صيغة رجاء فى القرآن الكريم فهى لحمل المخاطبين على ما خوطبوا به وليس لهذا الترجى متوجه إلى الله لأنه يرجى ولا يرجو .

قوله : " خذوا " إيجاز بالحذف أى فقلنا لهم خذوا .

****

٤٢ – قال تعالى : " وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ماآتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون " [2]

اتفق أبو السعود [3] مع صاحب الكشاف [4] فى قوله " خذوا ما آتيناكم " إيجاز بالحذف أى قلنا أو قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب .

---

[1] فى ظلال القرآن م١ ص ٧٩

[2] التفسير القرآنى م١ جـ١ ، ٤ ص ٩٤

[3] (الأعراف الآية : ١٩١)

[4] تفسير أبو السعود م٢ ص ٣١٤

[5] الكشاف جـ٢ ص ١٠٢

و[1] أبو حيان [1]: " كأنه ظلة " كأنهم عليهم ظلة ، ويحمل التشبيه على أنه بظلة مخصوصة .

قال محى الدين [2]: "وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة " تشبيه مرسل وفائدته إخراج ما لم تجر به العادة إلى ما جرت به العادة .

وقال الآلوسى [3]: " خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه " أى اعملوا به ولا تتركوه كالمنسى ، وهو كناية عن ذلك أو مجاز .

وزاد محمود صافى " وإذا نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة " أى غمامة أو ثقيفة وفسرت بذلك مع أنها كل ما علا وأظل لأجل حرف التشبيه .

وفائدته : إخراج ما لم تجر به العادة إلى ما جرت به العادة .

****

٤٣- قال تعالى [4]: " واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفاً خبيرا "

---

[1] البحر المحيط جـ٥ ص ٢١٧

[2] إعراب القرآن وبيانه جـ٣ ص ٤٩٢

[3] روح المعانى

[4] (الأحزاب الآية : ٣٤)

قال الطاهر [1]: لما ضمن الله لهن العظمة أمرهن بالتحلى بآدابها ، وإرشادهن للأمة لما فيه صلاحها . وفعل " اذكرن " كلمة جامعة تشمل المعنى الصريح والمعنى الكنائى .

وعطف " الحكمة " عطف خاص على عام ، وموقع مادة الذكر هنا تتحمل ما لا يتحمله غيرها إلا بالإطناب ، وجملة " إن الله كان لطيفاً خبيرا " تعليل للأمر ، وشملت عموم اللطف والعلم .

قال عبد الكريم الخطيب [2]: " بيوتكن " إشارة إلى أن بيوت نساء النبى ﷺ هى الآفاق التى تظهر منها آيات الله وسنة رسوله ﷺ .

قال طنطاوى [3]: " واذكرن " على سبيل الشكر والاعتبار والإرشاد .

قال الطبرسى [4]: " واذكرن " والخطاب وإن اختص بهن فغيرهن يشاركهن فيه لأن بناء الشريعة على القرآن والسنة .

---

[1] التحرير والتنوير جـ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ص ١٨

[2] التفسير القرآنى للقرآن م٦ جـ٢١ ، ٢٤ ص ٧٢٨

[3] التفسير الوسيط م١١ ص ٢٠٩

[4] مجمع البيان جـ٧ ، ٨ ص ٥٦٠

أهم المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم .

٢- لسان العرب - ابن منظور المصرى - ط دار المعارف .

٣- المفردات فى غريب القرآن - الأصفهانى - تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى ط دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان .

٤- أساس البلاغة - الزمخشرى تحقيق الأستاذ عبد الرحيم محمود - ط دار المعارف - المعجم الوسيط .

٥- منتخب قرة العيون النواظر فى الوجوه والأشباه والنظائر - ابن الجوزى - ط - تحقيق محمد السيد طنطاوى .

٦- حاشية الشهاب المسماة عناية القاضى وكفاية الراضى على تفسير البيضاوى ط التاريخ العربى .

٧- حاشية الشيخ محى الدين زاده على تفسير البيضاوى - ط دار صادر بيروت .

٨- علم النفس التجريبى د / سلوى شوقى

٩- علم النفس الفسيولوجى - د / عبدالله عسكر - ط مكتبة الأنجلو المصرية

١٠- معمل علم النفس - د / شوقى الجميل - ط الأولى -

١١- التحرير والتنوير - الطاهر بن عاشور ط الدار التونسية للنشر .

١٢- روح المعانى - الآلوسى - ط دار الفكر

١٣- الفتوح الإلهية - عمر الشافعى - ط دار إحياء التراث العربى بيروت

١٤- البحر المحيط - أبو حيان الأندلسى الغرناطى - ط دار الفكر .

١٥- فتح البيان فى مقاصد القرآن - صديق حسن خان - ط دار الفكر العربى .

١٦- التفسير الوسيط للقرآن الكريم - محمد سيد طنطاوى .

١٧ تفسير القرآن الكريم - - الحافظ بن كثير - ط دار الشعب

١٨- الجدول فى إعراب القرآن - تصنيف محمود صافى .

١٩- إعراب القرآن وبيانه - محى الدين درويش .

٢٠- التفسير المنير - وهبة الزحيلى .

٢١- صفوة التفاسير - محمد على الصابونى .

٢٢- الكشاف - الإمام الزمخشرى .

٢٣- التفسير الكبير " مفاتيح الغيب " - الفخر الرازى .

٢٤- التفسير القرآنى للقرآن - عبد الكريم الخطيب .

- فتح البيان فى مقاصد القرآن - صديق حسن خان .
٢٦ - الجامع لأحكام القرآن - القرطبى - ط دار الريان للتراث
٢٧ - فى ظلال القرآن د / سيد قطب .
٢٨ - تفسير أبى السعود .
٢٩ مجمع البيان - الطبرسى .

فهـرس الموضـوعات

المقدمة .
التمهيد
الفصل الاول
أسرار النظم البلاغى فى آيات النسيان فى القرآن الكريم
الفصل الثانى
آيات الذكر فى القرآن الكريم
أسرار النظم البلاغى فى آيات الذكر
فهرس المصادر والمراجع
فهرس الموضوعات

الخاتمة

بحمد الله تعالى قد أنتهيت من كتابة هذه الدراسة ، وكان من أهم نتائجها .

١- ان النظم البلاغى لآيات النسيان والذكر فى القران الكريم جاء مطابقاً للمقام الذى وردت فيه الآيات .

٢- أن استخدام القرآن الكريم لمادتى النسيان والذكر جاء متنوعاً بين الاسم والفعل المضارع والماضى والامر .

٣- ان استخدام القرىن الكريم لمادتى النسيان والذكر جاء متنوعاً بين الاستخدام الحقيقى والمجازى بكل صوره من الاستعارة بأنواعها والمجاز المرسل والمجاز العقلى .

٤- تعاونت وسائل التصوير البلاغى على اظهار المقصود من النسيان والذكر فى القرآن الكريم .

٥- أن جهود المفسرين البلاغية كانت واضحة ووافية فى اظهار الاسرار البلاغية واللطائف البيانية بما يكشف عن عظمة النظم القرآنى وسر اعجازه .

وأخيراً حسبى أنها محاولة منى للتعرف على بعض أسرار الذكر الحكيم فإن أكن قد وفقت فهذا فضل الله يؤتيه من يشاء وإن تكن الأخرى فحسبى هذه المعايشة القرآنية ، والله من وراء القصد .

الباحث

دكتور

سعد الدين كامل عبد العزيز شحاته

تفهنا العزب - زفتا - الغربية